وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الإعجاز البياني في آيات الأحكام" آيات المواريث في سورة النساء أنموذجا" دراسة وصفية تحليلية.

مذكرة تخرج مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: تحليل الخطاب

إعداد الطالبتين:
- نورة بريك
- جويدة كعباش

إشراف الأستاذة:
- فايزة حسناوي

السنة الجامعية: 1436هـ/1437هـ
2015م/ 2016م


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

قال تعالى:



صدق الله العظيم

وقال رسول الله صلى عليه وسلم:"من لم يشكر الناس لم يشكر الله".

نحمد الله حمدا طيبا مباركا على جميل فضله ومنّه وكرمه ونشكره على أن وفقنا ويسر لنا في أمرنا وأعاننا .

لنتقدم بعد ذلك بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة حسناوي فايزة التي كانت المنارة التي أنارت لنا هذا البحث، وكذا على توجيهاتها ونصائحها التي قدمتها لنا في إنجاز هذا البحث .

والى كل من ساعدنا من قريب وبعيد وكل أساتذة الجامعة خاصة أساتذة الأدب.

إهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله، إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى من أرضعتني الحب والحنان، إلى رمز الحب وبلسم الشفاء، إلى القلب الناصع بالبياض والدتي الحبيبة.

إلى من سهر الليالي على دربي ليمهد لي طريق العلم إلى القلب الكبير والدي العزيز.

إلى إخوتي وأخواتي الذين تذوقت معهم أجمل اللحظات وإلى كل صديقاتي وإلى كل من أحببتهم في الله طلاب قسم الأدب.

نورة

إهداء

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة، إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى من أنارت درب حياتي إلى من وهبتني العطف ورعتني بالمحبة إلى والدتي حفظها الله.

إلى خير سند لي في هذه الحياة إلى أبي أدامه الله تاجا على رؤوسنا إلى أعز ما أملك في الوجود إخوتي: محمد، نبيل، علي وكعباش الذي أتمنى له النجاح في الباكالوريا إلى أخواتي نجية سميرة، حنان، جهيدة، إلى شموع وبراعم الأسرة سيف الدين، ماريا وريان .

إلى الأساتذة الكرام في قسم الأدب العربي والى الأصدقاء والصديقات.

جويدة

مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين ولاسيما خلفائه الراشدين أبي بكر وعثمان وعلي وعمر وعلى من سار على نهجهم إلى يوم الدين، فإن موضوع بحثنا هذا يتمحور حول الإعجاز البياني في آيات الأحكام، فالقرآن الكريم المعجز ببيانه، الباهر ببلاغته ، الرائع في نسجه، البليغ في نظمه ،قد حوى من اللطائف دررا من الأسرار ما حير عقول أهل البيان وأذهلهم، فهو كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، بواسطة الأمين جبريل عليه السلام المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته ، المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس ، ولهذا فقد رأى بعض العلماء قديما وحديثا أن القرآن معجز ببيانه فقط ، وذهب بعضهم إلى أنه معجز أيضا في تشريعه وفي الإخبار بأمور الغيب وفي الحقائق العلمية . وسنذكر كل وجه من وجوه الإعجاز الأخرى بإذن الله تعالى، لكننا سنقف طويلا عند الإعجاز البياني ونفصل فيه القول، من خلال أعلام الأدب والبلاغة الذين درسوا بلاغة القرآن الكريم قديما وحديثا، واستخرجوا من مكنون آيات القرآن ما يحير العقول و الألباب.

إذ يعد الإعجاز البياني من أهم وأعظم وجوه الإعجاز القرآني، الموجود في كل كلمة من كلمات القرآن وفي كل آية من آياته وفي كل سورة من سوره، فهو يؤدي وظائف جمالية رفيعة، وقد تجلت أهمية هذا الموضوع فيما يلي:

-خدمة الدراسة اللغوية، حيث استطاع أن يضع اليد على تحديد المفهوم الدقيق للدراسات اللغوية الحديثة، وكذا الدراسات القرآنية الخاصة بموضوع الإعجاز البياني للقرآن الكريم نوعان:

أ-إعجاز بياني تفصيلي خاص بالآيات المحكمات (الأحكام)، ويعتمد على الوضوح والبيان والتفصيل الدقيق، حيث لا تأويل معه إذ هو متوقف على معنى واحد.

ب- إعجاز بياني بالمفهوم الاصطلاحي البلاغي وهو المتعلق بالآيات المتشابهات التي تتنوع فيها الصورة البلاغية، كالتشبيه والكناية وغيرها.

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع ما يلي:

-الكشف عن أسرار وعجائب كتاب الله ليزداد تعلقنا بكتاب الله تعالى.

-تطوير الدراسة الاعجازية في القرآن الكريم وتكميل رسالة الأولين والسابقين فيها.

-بيان الإعجاز البياني للقرآن من خلال مظاهره.

-خدمة كتاب الله تعالى ابتغاء الأجر والثواب في الدنيا والآخرة ،وتشجيع الأجيال اللاحقة على البحث والتدقيق في أعماقه ومناقشة الآراء، من غير تردد واتباع الأصوب والأصلح منها.

ولأجل ذلك أردنا في بحثنا الموسوم بالإعجاز البياني في آيات الأحكام آيات المواريث أنموذجا (سورة النساء) دراسة وصفية تحليلية،أن نتعرف على أ وجه الإعجاز القرآني بصفة عامة ومظاهر الإعجاز البياني بصفة خاصة ،وعلى هذا الأساس كان تصورنا لإشكالية بحثنا هذا يتمثل في الطرح الآتي :ماهي مظاهر الإعجاز البياني في آيات الأحكام؟

وقد انطوت تحتها مجموعة من التساؤلات هي:

-ما هي السمات الاعجازية البيانية في آيات الأحكام؟

-إذا كان الإعجاز البياني يعد وجها من وجوه الإعجاز القرآني فافيما تكمن أهميته وقيمته في هذه الآيات؟

وعلى هذا قسمنا بحثنا إلى مقدمة و فصلين رئيسيين : فصل نظري تناولنا فيه الإعجاز البياني في القرآن الكريم من حيث التعريف اللغوي والاصطلاحي للإعجاز القرآني والإعجاز والمعجزة إضافة إلى وجوه الإعجاز القرآني، إضافة إلى ذلك تطرقنا إلى ماهية الإعجاز البياني من حيث المفهوم اللغوي والاصطلاحي ، كذلك مفهوم الإعجاز البياني .

أما الفصل التطبيقي فتناولنا فيه الأوجه الاعجازية البيانية في آيات المواريث ، من خلال تقديم مقدمات حول سورة النساء، وسرد المعنى الإجمالي لآيات الميراث خاصة ودراسة الإعجاز البياني في هذه الآيات، من خلال استخراج مظاهر الإعجاز البياني منها واستخلاص خصائص الألفاظ والمعاني والتراكيب في هذه الآيات .

ولمعالجة هذا الموضوع اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي من أجل البحث عن مظاهر الإعجاز البياني في آيات الأحكام.

وقد أفادتنا بعض الدراسات السابقة كثيرا في إعداد هذا البحث منها : رسالة الدكتور عمار ساسي في إعجاز القرآن الكريم، التي أثارت انتباهنا وتساؤلاتنا من أجل البحث والدراسة، وعليه قد اعتمدنا على مراجع قيمة كالإعجاز البياني في القرآن الكريم للدكتور عمار ساسي ، وكذلك نظرات من الإعجاز البياني لسامي محمد هشام حريز، وكذلك التفاسير الكبرى للقرآن الكريم ونخص بالذكر، تفسير البغوي، وكذا تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، وتفسير الكشاف للزمخشري ، وتفسير الرازي.

وقد واجهنا بعض الصعوبات في إعداد هذا البحث، كصعوبة العثور على بعض المراجع، وقلتها في المكتبة.

الفصل الأول:الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

المبحث الأول: مفهوم الإعجاز القرآني.

المبحث الثاني:مفهوم الإعجاز البياني.

تمهيد:

القرآن الكريم كلام الله تعالى المعجز المنزّل على خاتم الأنبياء والرسل محمد – صلى الله عليه وسلم– بواسطة جبريل عليه السلام لقوله تعالى:﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ الشعراء:193-194. فنزل القرآن رحمة للعالمين لما فيه من أحكام شرعية وقيم إنسانية ودينية ومن أسرار الكون وقوانينه لقوله تعالى:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ هود:1. وكذلك لما فيه من جماليات نصية لما يتميز به من أسلوب راق وبليغ، وهذا دليل على بلاغته وروعته وجدته فلاً ها ظهرت في مقاصده وأغراضه ومراميه الشرعية، مما دلّ على صدق شرعيته وسُمُوّ حكمته في عظمة تصويره للحياة الإنسانية وفي جزالة ألفاظه وقوّة معانيه.

المبحث الأول: مفهوم الإعجاز القرآني

1- مفهوم الإعجاز:

أ- لغة:

لقد أيد الله رسله بمعجزات وكانت معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم القرآن الكريم المعجز في كلامه المُنزّه عن الخطأ، الذي أعجز الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله كما ورد في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء:88.

وعلى هذا اختلف العلماء في تحديد مفهوم مصطلح الإعجاز في الجانب اللغوي فورد عند الدكتورة بنت الشاطئ بمعنى:"عجزت المرأة ، صارت عجوزا أي أنها هرمت وشاخت وأصبحت عاجزة عن استعادة شبابها وعجزت المرأة عجيزتها أي عجزتها ويقال:عجز عن الأمر إذا قصُر عنه... فُلان أي فاتني وقال اللّيث أعجزني فُلان إذ أعجزت عن طلبه وادراكه؛ ومعنى الإعجاز الفوت والسّبق إعجاز الإبل مآخيرها والركوب عليها شاق ويعجز البعير ركب عجزه، هذه المعاني تفيد القصور والفوت والسبق، وهذا معنى الإعجاز لغة"[1].

والإعجاز من مصدر الفعل الثلاثي"عجز يعجز عجزا فهو عاجز، وأعجزني فلان إذا عجز عن طلبه وادراكه والعجز نقيض الحزم".[2]

---

[1]- عمار ساسي، المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القران الكريم، جدارا للكتاب العالمي، ط1، 2007م، ص70.

[2]- عامر عمران الخفاجي، أضواء البيان في علوم القرآن، دار الصادق الثقافية ، ط1، 2012م، ص73.

وفي موضع آخر نجد أنّ كلمة إعجاز: "مصدر الفعل الماضي الرباعي. تقول: أعجز يعجز، إعجازا. والجذر الثلاثي للكلمة: هو عجز."[1]

فلفظ الإعجاز"مصدر قولنا في كل أمر يريد الرجل إن يفعله أو يأتيه، فيجهدُ جهده كله، فلا يستطيع أن يفعله أو يأتيه ويسقط عندئذ في العجز، وهو عدم القدرة على فعل ما يريد، تقول: أعجزه هذا الأمر يعجزه إعجازا، أي انقطعت قوته دونه، فوقع في العجز غير مطيق لفعله، غير قادر على إتيانه، ويوصف هذا الأمر عندئذ بأنه معجز أي هو غير مقدور عليه البتة."[2]

كما عرّفه الراغب الأصفهاني بقوله: "عجز الإنسان مؤخره وبه شّبه مؤخر غيره. قال الله تعالى: ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ القمر:20. والعجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر آي مؤخره، ثّم صار في التعاريف للقصور عن فعل الشيء."[3]

ومنه فالإعجاز من التعجيز نسبة إلى العجز وهو ضدّ القدرة، ويقال أعجزه الشيء أي فاته ومنه قوله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ المائدة: 31.

---

[1]– سامي محمد هشام حريز، نظرات من الإعجاز البياني في القران الكريم نظريا وتطبيقا ، دار الشروق، ط1، ص27.

[2]– أبو فهر محمود محمد شاكر، مداخل في إعجاز القران، دار المدني جدة، (د. ط)، 2002م، ص16 .

[3]– عمار ساسي ، الإعجاز البياني في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية في آيات المحكمات ، جدارا للكتاب العالمي ط1،2007 م، ص68.

ب- اصطلاحا:

نزل القرآن الكريم لإثبات عجز البشر، رغم كثرة الخطباء والشعراء المفلقون الذين وصفهم الله في كتابه بأهل الجدل واللّدد، فقد أدهشهم وأبهرهم وتحدّاهم بأن يأتوا بمثله. كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ هود: 13. فقد عرفه الطبرسي: "هو أن يأتي الإنسان بشيء يعجز خصمه عنه ويقصر دونه فيكون جعله عاجزا عنه."[1] ويعرفه أيضا مصطفى مسلم: 'هو إثبات العجز والعجز في التعارف اسم للقصور عن فعل الشيء وضدّ القدرة وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز، والمراد بالإعجاز هنا هو إظهار صدق النبي -صلى الله عليه وسلّم- في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته بمعجزته الخالدة وهي القرآن.'[2]

كما أشار إليه الرافعي في قوله: "إنما الإعجاز شيئان ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدّة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار الضعف هذا على تراخي الزمن وتقدمه فكأن العالم في العجز كله إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت، فيصير من الأمر المعجز إلى ما يشبه في الرأي مقابلة أطول الناس عمرا بالدهر على مداه كله، فإن المعمّر دهر صغير وإن لكليهما مدة في العمر هي من جنس الأخرى غير أن واحدة منهما قد استغرقت الثانية فإن شاركتها الصغرى إلى حد فما عسى أن يشركهما فيما بقي."[3]

---

[1]- عامر عمران الخفاجي، أضواء البيان في علوم القرآن، ص74.

[2]- عمار ساسي، المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن، ص69.

[3]- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، ط9، 1973م، ص139.

وقول الشيخ البلاغي محمد جواد: "الإعجاز هو المعجز الذي يأتي به مدعي النبوة بعناية الله الخاصة خارقا للعادة وخارجا عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم والتعلم ليكون بذلك دليلا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وحجته في دعواه النبوة ودعوته."[1]

ويبّين الباقلاني: "من حكم المعجزات إذا ظهرت على الأنبياء أن: يدعوا فيها أنها من دلالتهم وآياتهم، لأنه لا يصح بعثة النبي من غير أن يؤتى دلالة، ويؤيد بآية لأن النبي لا يتميز من الكاذب بصورته، ولا يقول نفسه، ولا بشيء أخر، سوى البرهان الذي يظهر عليه، فيستدل به على صدقه.

فإذا ذكر لهم أن هذه آيتي، وكانوا عاجزين عنها – صح له ما ادعاه، ولو كانوا غير عاجزين عنها – لم يصح أن يكون برهانا له.

وليس يكون معجزا إلا بأن يتحداهم إلى أن يأتوا بمثله فإن تحداهم وبان عجزهم –صار ذلك معجزا."[2]

هذا دليل على أن القرآن الكريم معجز في آياته ونظمه فتحدّى من قال أنه شعر وسحر فلم يستطع أفصح الفصحاء إنكار روعته، ونفي أثره البالغ في نفوس سامعيه، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الحشر: 21.

[1]– عامر عمران الخفاجي، أضواء البيان في علوم القرآن ، ص74.

[2]– أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، (د.ط)، 1971م، ص251.

2- مفهوم المعجزة

أ-لغة:

إنّ لفظة إعجاز لفظة عامة يدل عليها قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ لقمان:11.

ويدل عليها أيضا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ الحج: 73.

يقول الإمام الجوهري: "العجز: تقول: عجزت عن كذا أعجز بالكسر ومعجزة بالفتح أيضا على القياس وعني الحديث (لا تلبثوا بدار المعجزة)أي لا تقيموا ببلدة يعجزون فيها عن الاكتساب والتعيش، والتعجيز والتثبيط وكذلك إذا نسبته إلى العجز والمعجزة: واحدة معجزات الأنبياء ."[1]

وجاء في لسان العرب لابن منظور تعريف المعجزة لغة كما يلي: عجز فيهما ورجل عجز وعاجز وامرأة عاجز أو عاجزة عن الشيء، عن بن الأعرابي عجز فلان رأى فلان إذا نسبه إلى خلاف الحزم كأنه نسبه إلى العجز، ويقال أعجزت فلانا إذا ألقيته عاجزا والمعجزة العجز بفتح وكسر الميم."[2]

---

[1]- عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص68.

[2]- عمار ساسي، المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن، المرجع السابق ، ص68، 69.

والمعجزة كما قال سيبويه: "هو المعجزُ والمعجزُ الكسر على النادر والفتح على القياس لأنه مصدر. والعجز: الضعف: تقول عجزت عن كذا أعجزُ." [1]

وقد وردت في القرآن الكريم عدة مصطلحات للدلالة على المعجزة، كلفظة (البَينة) في قوله تعالى:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الأعراف:73. كما جاءت لفظة(رهان) في القرآن الكريم لتدل على حقيقة المعجزة، في قوله تعالى:﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ القصص:32.

ب- اصطلاحا:

فقد عرفها الزرقاني في قوله: "هي أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة عند دعواه إياه شاهدا على صدقه فإذا قام إنسان ما وادعى أنه مبعوث من الله تعالى إلى خلقه ورسوله إلى عباده، وقال إن آية صدق فيما أدعيه أن يغير الله الذي أرسلني عادة من عاداته على يدي...ثم قال

[1]- ابن منظور، لسان العرب، م1، دار المعارف، القاهرة، ط1، ص2817.

وسيأتيكم الله بهذا الأمر العجاب من باب ترون أنكم فيه نابغون وعليه قادرون واني أتحداكم زرافات ووحدانا أن تأتوا بمثل هذه الآية."[1]

" فالمعجزة هي الآية الكاشفة عن عجز جميع الخلائق المبطلة لجميع قدراتهم على مثلها المبنية على قدرة الله الذي لا يعجزه شيء في السموات والأرض، ويبّين أن المعجزة ليست من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ولاهي داخلة في قدرته بل هي من عند الله ينزلها عليه بمشيئته"[2]، وهذا ما يدل عليه القرآن العظيم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ العنكبوت: 50.

وعليه: "فالمعجزة أمر خارق للسّنة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الكون ولا تخضع للأسباب والمسببات ولا يمكن لأحد أن يصل إليها عن طريق الجهد الشخصي والكسب الذاتي، وإنّما هي هبة الله سبحانه وتعالى يختار نوعها وزمانها ليبرهن بها صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أكرمه بالرسالة "[3].

و قد أوجز بعض العلماء تعريف المعجزة بقولهم: "أنها أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين له على وجه يبين صدق دعواه أو على وجه يدل على صدقه ولا يمكنه معارضته."[4]وورد في تعريف آخر: "أنها فعل الله سبحانه وتعالى الخارق للعادة، المقارن لدعوى الرسالة، مُتحدى به قبل وقوعه، غير مكذب يُعجز من يبغي

---

[1]– عمار ساسي، المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن، المرجع السابق، ص71.

[2]– أبو فهر محمود محمد شاكر، مداخل إعجاز القرآن، ص17.

[3]– مصطفى مسلم، مباحث في علوم القرآن ، دار المسلم الرياض، ط2 ،1996م ، ص15.

[4]– عدنان محمد زرزور، بين مفهوم المعجزة واعجاز القرآن "نظرات نقدية"، (د.ط)، ص13.

معارضته عن الإتيان بمثله ."[1] في حين قال عضد الدين الإيجي صاحب (المواقف): "إن حقيقة المعجزة ما قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله."[2]

ويعرفها الإمام الأشعري بقوله :" المعجزة فعل خارق للعادة مقترن بالتحدي سليم في المعارضة ينزل منزلة التصديق بالقول من حيث القرينة وهو منقسم إلى خرق المعتاد وإلى إثبات غير المعتاد."[3]

3- شروط المعجزة

للمعجزة شروط يجب أن تقوم عليها وإن لم تكن هذه الشروط لا تعد معجزة:

أولا:"أن تكون مما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى كمعجزة عيسى عليه السلام في إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، ومعجزة قلب العصا حية على يد سيدنا موسى عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ الأعراف: 120، وفي قوله أيضا: ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ القصص:32. وكذلك خروج الماء من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم، وحنين النخلة وهي مما يعرفون من الزرع، ومعجزة الإسراء والمعراج في قصر مدة وقوعها، وانشقاق القمر، ومعجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الكتاب الذي أنزل عليه.

---

[1]- عدنان محمد زرزور، المرجع السابق، ص13.

[2]- المرجع نفسه، ص13.

[3]- عمار ساسي ، المدخل إلى النحو والبلاغة في القرآن الكريم ، ص69.

ثانيا:أن تكون خارقة للعادة وتكون مخالفة للسنن الكونية والعقلية. كفلق البحر وانشقاق القمر.

ثالثا:أن يستشهد بها مدعي الرسالة الرسول صلى الله عليه وسلم على صدق دعواه كمعجزة القرآن الكريم الذي هو آية جلية على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

رابعا:أن تقع وفق دعوى النبي صلى الله عليه وسلم المتحدى بتلك المعجزة كنزول المائدة من السماء استجابة لطلب الرسول عيسى عليه السلام بعد دعوى قومه بالإنزال."[1]

خامسا: "أن لا يأتي أحد بمثل تلك المعجزة على وجه المعارضة".[2] لقوله تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ الطور:34. وفي قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ هود:13.

وفي قوله أيضا:﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ يونس: 38.

سادسا: "أن لا يكون ما ادعاه وأظهره مكذبا له، فلو قال: معجزتي أن ينطق هذا الضب. فقال إنه كاذب! لم يعلم به صدقه بل ازداد اعتقاد كذبه، ثم يستدرك الإيجي قائلا: نعم لو قال: معجزتي أن أُحي هذا الميت فكذبه، ففيه احتمال. والصحيح أنه لا يخرج بذلك عن كونه معجزا، لأن المعجز إحياؤه، وهو بعد ذلك مختار في تصديقه وتكذيبه ولم يتعلق به دعوى.

---

[1]- عمار ساسي، المدخل إلى النحو والبلاغة ، المرجع السابق ، ص71.

[2]- المرجع نفسه ، ص71.

سابعا: أن لا يكون متقدما على الدعوى لها، بل مقرونا لها لأن التصديق قبل وقوع الدعوى لا يُعقل ! فلو قال معجزتي ما قد ظهر على يدي قبل، لم يدل على صدقه ويطالب به بعد، فلو عجز كان كاذبا قطعا."[1]

2- وجوه الإعجاز القرآني

القرآن الكريم بحر شاسع ليس له حد فهو المعجزة الكبرى للنبي صلى الله عليه وسلم، الذي تفجرت منه جميع أنواع المقاصد والوجوه، مما جعل هذه الأخيرة محل اختلاف أراء العرب، فمنهم من جعلها عشرة وجوه ومنهم من جعلها خمسة وجوه، غير أن معظم العلماء والدارسين اتفقوا على معظم وجوه الإعجاز القرآني تدور حول البيان و اللغة والأسلوب ومنها ما يتعلق بالإخبار عن الغيب ومنها ما ينص على أحكام التشريع ومنها ما يتعلق بعلوم الكون ومعارفه، و يمكن أن نتحدث عن أهم وجوه الإعجاز في القرآن الكريم كما يلي:

1- الإعجاز البياني:

يعد من أعظم وجوه إعجاز القرآن الكريم وذلك لأنه: "ينتظم القرآن كله، سوره على اختلافها طولا وقصرا ويرجع لبه إلى النظم، ويرى الأستاذ الدكتور محمد حسين علي الصغير أن هذا الوجه يتمثل بالتركيبة الخاصة المتميزة لألفاظ القرآن ومعانيه وفي مجموعة العلاقات المجازية والإستعارية والتشبيهية والكنائية والرمزية والإيحائية بين المعاني والألفاظ."[2]

---

[1]- عدنان محمد زرزور ، المرجع السابق، ص14.

[2]- عامر عمران الخفاجي، أضواء البيان في علوم القرآن، ص80،81.

فالوجه البياني"نجده في كل آيات ومواضع القرآن الكريم والذي يشمل النظم والأسلوب والبلاغة والفصاحة والمضمون والشكل وهذا في القرآن كله."[1]

2- الإعجاز الغيبي:

وذلك" بما تحدث عليه القرآن في الإنباء عن الغيب الماضي والمستقبلي وذلك برهان ساطع ودليل قاطع، على أن هذا القرآن ليس من كلام البشر، إنما هو كلام علام الغيوب الذي لا تخفى عليه خافية."[2]

كما اعتبره الباقلاني وجها من وجوه الإعجاز الثلاثة حيث يقول:"ما تضمنه القرآن من الإخبار عن الغيوب وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه ."[3]

وذكر الخطابي "بأن القرآن الكريم معجز بما فيه من إخبار عن أمور غيبية تحققت كل على الوجه الذي أخبر القرآن عنه ولم يتخلف من ذلك شيئا البتة، وهذا أمر ليس في مقدور البشر، فلن يكون تنبئا قاطعا وإنما هو ضربا من غلبة الظن، وترى حدسهم وما تنبؤوا به لا يقع كما وضعوه وضبطوه، وإنما يقع في أحسن الحالات على صورة قريبة منه، ولم يكن الأمر كذلك فيما أخبر عنه القرآن."[4]

واعتبرها الرماني: "من الوجوه السبعة من وجوه إعجاز القرآن وهي الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة."[5]

ومنه فالإخبار عن الغيب ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

---

[1]- سامي محمد هشام حريز، نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم نظريا وتطبيقيا ، ص33.

[2]- عامر عمران الخفاجي ، المرجع السابق ، ص76.

[3]- الباقلاني ، إعجاز القرآن والبلاغة ، ص33.

[4]- محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مكتبة وهبة القاهرة، (د.ط) ، ص57.

[5] -الرماني ، الخطابي ، الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام دار المعارف ، مصر، (د.ط) ، ص75.

أ- الإخبار عن الماضي: يتمثل في الإخبار عن الأمم البائدة والقرون السابقة والشرائع كأخبار أهل الكتاب وأخبار قصص الأنبياء والرسل لقوله تعالى:﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۛ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾هود :49. وكذلك في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾يوسف :102

ب- الإخبار عن الحاضر: وذلك في الإخبار عن قضايا الاعتقاد والأمور الغيبية الجارية وذلك للتصدي للأعداء و كشف مؤامرات اليهود والمشركين لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ التوبة :107.

ج –الإخبار عن غيب المستقبل: فالقرآن الكريم يحتوي أمور غيبية كثيرة فمثلا "الإخبار عن فتح مكة في قوله تعالى:﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾الفتح:27 .

حيث أنّ المشركين منعوا المسلمين من دخول الحرم فأعلن الله أن دخولهم الحرم سيكون فعلا وهم على أمان واطمئنان وهذا ما حدث فعلا."[1]

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الفتح:16، وكذلك هناك أمور غيبية أخرى فمثلا الإخبار عن الحرب التي ستقع بين الروم والفرس وتكون الغلبة والنصر للروم في قوله تعالى :﴿ الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ الروم:1:4.

3_ الإعجاز التشريعي:

القرآن الكريم أفضل الكتب المنزّلة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة حيث أنزله الله تعالى لكل شيء، وشمّل فيه لعباده كل ما تقوم عليه حياتهم وفي كل الميادين لقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان:1.

ولما فيه من أحكام عامة، التي تقوم عليه الأمة من أحكام الحدود و المعاملات ونظام الأسرة والمجتمع وقواعد الحكم ومسائل التشريع و المواريث قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا

[1]– سمير عبد الحليم ، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، مكتبة الأحباب، دمشق ، ط1 ،2000م ، ص138.

عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل:89 . فيرى الشيخ محمد أبو زهرة :"أن ما اشتمل عليه القرآن من أحكام تتعلق بتنظيم المجتمع وإقامة العلاقات بين آحاده على دعائم من المودة والرحمة والعدالة."[1] ويقول كذلك محمد حسين علي الصغير:"أن الإعجاز التشريعي يمثل بما فصله القرآن بآيات الأحكام وفقه القرآن بما لا عهد لمناخ الجزيرة بتفصيلاته الدقيقة فقد نظم حياة الفرد والأمة بأحكام لا مزيد على إبرامها برباط الحرية دون فوضى وبرقة الامتثال دون استعباد."[2] فنلاحظ في عصرنا انتشار الضعف والفساد والأمة في تدهور دائم وذلك لأنها لم تطبق الأحكام الشرعية، عكس ما رأيناه في الأمة الإسلامية السابقة التي كانت تقوم على القوة والأمن والاستقرار، وذلك لتطبيقها الأحكام الشرعية، فسبحان الذي أنزل القرآن رحمة للعالمين.

4- الإعجاز العلمي:

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم من أكثر المواضيع التي أخذت اهتمام الكثير من العلماء والباحثين، حيث اكتشفت الكثير من الحقائق العلمية التي تحدث عنها القرآن الكريم، وهذا دليل على صدق الله عز وجل وأنه قال الحق وليس الباطل في قوله تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فصلت :53. فنجد آيات كثيرة تدعو إلى التدبر والتفكر في قوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ محمد:24.

---

[1]- عامر عمران الخفاجي ، أضواء البيان في علوم البلاغة ، ص77.

[2]- المرجع نفسه ، ص78.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء:82. وبذلك نجد الطنطاوي "حاول التوفيق بين القرآن والعلم الحديث حيث أن القرآن لم يعتريه تبديل ولا تغيير وأنه من عند الله ودليل على صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ."[1]

والإعجاز العلمي" هو إخبار القرآن الكريم والسنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم."[2]

وهكذا يظهر اشتمال القرآن أو الحديث على الحقيقة الكونية التي يؤول إليها معنى الآية أو الحديث. ويشاهد الناس مصداقها في الكون في قوله تعالى :﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ الأنعام:67 فنجد حقائق علمية ورد ذكرها في القرآن الكريم وثبت صدقها مثل ظاهرة المطر التي وصفها بدقة علمية في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ النبأ:14، وكذلك "نجد حقائق علمية في قوله تعالى:﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ الأنعام:125. فطبقات الجو لها تأثير على الإنسان وجسده، إذن الحقيقة العلمية تقول إن الضغط الجوي يخفى كلما صعدنا، ولذلك يشتد الضغط الداخلي فينفجر الدم ويضيق الصدر."[3]

---

[1]– سامي محمد هشام حريز ، نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم نظريا وتطبيقيا ، ص63.

[2]– المصلح عبد الله، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم تاريخه وضوابطه، ط2 ،2006م، ص22.

[3]– محمد بركات ، دراسات في الإعجاز البياني ، دار وائل للنشر، ط1 ،2000م، ص21.

وعليه نلاحظ" أن الأمور العلمية في القرآن الكريم ما كانت إلا عبرة، أو وسيلة لتقريب المعنى العام في الآية أو السورة إلى أذهان المخاطبين، ثم إن ذكر هذه القضايا العلمية ليس بمقدرتها، إنما بأصولها حتى لا يغتر الإنسان بأن أي شيء يكتنفه في أي عصر من العصور، هو من قدرة ذكائه، أومن صنع يده، إنما أمره ومرجعه إلى الله تعالى، خالق كل شيء."[1]

وعليه يعد القرآن الكريم مصدر الحقيقة العلمية التي تثبت أن الله هو خالق الكون وواضع لسننه وقوانينه.

5- الإعجاز العددي:

بعد ما كان الاعتقاد بأن وجه الإعجاز منحصرا في الدراسات اللغوية والبيانية، ما أدى إلى ظهور دراسات حديثة في الإعجاز العلمي والمتمثلة في الإعجاز العددي في القرآن الكريم.

فالإعجاز العددي" لم يكن عن طريق الصدفة لأن الصدفة قد تحدث لمرة أو لمرتين أما القرآن فقد جاء متناسقا في التكرار الرقمي للموضوعات بمعنى أنه تميز بتساوي الأعداد فيما يختص بالألفاظ المتشابهة، أو المترابطة أو المتناقضة وقد جاء التوازن في غاية الدقة مما لا يدع مجالا للشك بأنه توازن مقصود ودقيق في منتهى الأحكام وأنه كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم". [2] في قوله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ هود :1.

[1]- محمد بركات، المرجع السابق، ص23.

[2]- سمير عبد الحليم ، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني ، ص140.

ونجد عبد الرزاق نوفل" قد وفق إلى ذكر المقارنات والموازنات الحسابية الدقيقة، حيث قام بعمليات إحصائية لورود الألفاظ المتناظرة والمتضادة، وقابلها بالعدد نفسه أو نصفه، أو شطره أو ما يقاربه مما شكل ثروة عددية أي أن القرآن لم يستعملها صدفة بل بميزان، وذلك الميزان لا يمكن أن يكون من صنع البشر فهو إذن من أدلة إعجازه، ولاشك في أن الأعداد لها مدلولاتها ولم توجد عبثا فمثلا كلمة (يوم)تكررت في القرآن (365) وهو نفس عدد أيام السنة، ومثلها (شهر) تكررت في القرآن (12) مرة وهو نفس عدد الشهور في السنة الواحدة وغيرها من الأمثلة."[1]

لوجوه الإعجاز القرآني دور هام في بيان و تفسير ما في القرآن من جماليات مختلفة سواء كانت لغوية أو بيانية أو بلاغية، وكذلك ما تحمله من قيم وأحكام شرعية متعددة ومختلفة وقيم إنسانية، ووجوه علمية مختلفة وهذا دليل على قدرة الله سبحانه عز وجل الذي لا تخفى عليه خافية وأنه قدير على كل شيء.

فالإعجاز عند سيد قطب كما رأينا "يكمن في البلاغة والتصوير وفي سمو التشريع وأحكامه وشموله، وفي موافقة القرآن للأحكام العلمية." [2]

[1]– عامر عمران الخفاجي ، أضواء البيان في علوم القرآن ، ص82.

[2]– سامي محمد هشام حريز، نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم نظريا وتطبيقيا ، ص64.

المبحث الثاني: مفهوم الإعجاز البياني

1- مفهوم البيان :

يسعى علم البيان إلى الكشف عن أسرار كلام العرب بنوعيه المنظور والمنثور لمعرفة درجات الفصاحة والبلاغة التي بها تصل إلى معرفة مراتب إعجاز القرآن الكريم الذي أبهر وأدهش الكثير من الخطباء في أسلوبه الراقي، وأعجزهم عن الإتيان بمثله، فغاية هذا العلم كانت لإبراز المعنى الواحد بطرق مختلفة من أجل توضيح دلالات المعاني بصور مختلفة.

أ- لغة:

جاء في أساس البلاغة للإمام الزمخشري مفهوم البيان بمعنى: "بان لي الشيء وتبّين وبّين وأبان واستبان وبينته وأبنته واستبنته وجاء ببيان ذلك وبينته أي بحجته، ومن بينات الكرم التواضع ورجل بيّن ، فصيح ذو بيان ، وما أبينه وما رأيت أبين منه وقوم أبيناء وهذه مباين الحق ومواضحة، وظهرت أمارات الخير وتباينه وتبين في أمرك: تثبت وتأن."[1] وورد عند الإمام أبي منصور الثعالبي بمعنى الإبانة و الاستبانة فتراه يقول "استبنت الشيء إذا تأملته حتى يتبّين لك. كما في قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ الأنعام :55. والمعنى :(ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين، أي لتزداد استبانة ولذا بان سبيل المجرمين فقد كان سبيل المؤمنين)، وأكثر القراء قرؤوا: (ولتستبين سبيل المجرمين، والاستبانة حينئذ تكون غير واقعة)."[2]

---

[1]- عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات ، ص111.

[2]- المرجع نفسه ، ص109.

كما تضمن معنى: "الكشف والإيضاح والظهور... بان الشيء، يبين بيانا، فهو بَين، وأبان الشيء فهو مبين، وأبنته: أي وضحته، واستبان الشيء: ظهر، والتبين: الإيضاح."[1] وقد دل على ذلك في القرآن الكريم لقوله تعالى:﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل : 44.

وقوله أيضا:﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران :138.

أي إيضاح وكشف المعنى، أي أن الذي ذكرت من سنتي في الماضي إيضاح لسوء عاقبةوِ ُشير الرماني إلى مفهوم البيان فيرى: "أنه الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك، ويقسم البيان إلى أربعة أقسام: كلام، حال، إشارة، علامة."[2]

كما جاء في لسان العرب لابن منظور:"البيان ما بين به تميز الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء بيانا اتضح فهو َبين."[3]

و عليه قال الزجاج: "بان الشيء بيانا اتضح فهو بَين."[4] كقوله تعالى:﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾القيامة:18-19. أي إظهار معانيه وأحكامه وشرائعه.

فرغم اختلاف علماء البلاغة في تعريف البيان إلى الجانب اللغوي، إلا أنه مدلول واحد وما تلك المصطلحات والمعاني إلا مرادفات لكلمة" بيان".

---

[1]- أبو عدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني- علم البيان -علم البديع ، دار الميسرة ، ط1،2007م ص143.

[2]- الرماني ، الخطابي ،الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص106.

[3]- عمار ساسي، الإعجاز البياني في القران الكريم دراسة تطبيقية في آيات المحكمات، المرجع السابق، ص108.

[4]- المرجع نفسه ، ص109.

ب-اصطلاحا:

لقد ربط علماء البلاغة البيان بالصور البيانية، من تشبيه وكناية واستعارة ومجاز، من سماته إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة من أجل توضيح الدلالات وتبسيطها للسامع.

لذا قيل: "سمي هذا العلم بيانا إما لأنه باحث عن الطرق المختلفة التي تستعمل لأجل وضوح المعنى وبيانه للسامع، من قولهم بان الشيء بيانا اتضح وظهر، ولما أن يكون مأخوذا من البيان بمعنى الإفصاح مع ذكاء وإنما كان هذا العلم بيانا لذلك المعنى لأنه هو الغاية المقصودة منه والثمرة الناتجة عنه."[1]

ويراه الجاحظ بأنه: "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجب دون الضمير حتى يخفي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائن ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع وإنما هو الفهم والإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع."[2]

كما وضح الرماني "مجال البيان الذي يعتد به، إذ هو الكلام الذي يظهر به تميز الشيء من غيره وبهذا يكون قد نفى صفة البيان عن كلام المجانين والعجماوات، لأنه يقر بأن بعض الكلام لا يظهر به تميز الشيء كالكلام المخلط والمحال الذي لا يفهم به معنى."[3]

---

[1]- الشيخ عبد الرزاق، علم البيان وتاريخه، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1 ،2004م، ص59.

[2]- الجاحظ ، البيان والتبيين ، المكتبة التجارية الكبرى، ج1 ، ط1 ،1926م، ص68.

[3]- عمار ساسي، الإعجاز البياني في القران الكريم دراسة تطبيقية في آيات المحكمات ، ص75.

وعرفه أبو يعقوب يوسف السكاكي: "بأنه معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، والنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لإتمام المراد."[1]

فالبيان عبارة عن أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها في وضوح الدلالة العقلية على ذلك المعنى نفسه."[2]

وعليه فلفظة بيان كانت عبارة عن"اسم شامل وجامع لكل ما أبان لك عن الأشياء والمعاني دقيقها وخفيها وفق سنن العرب في كلامها وعليه فكل ما خرج عن سنن العرب في كلامها لا يعد بيانا وان صيغ بأفصح الألفاظ."[3]

ولهذا يظهر بأنّ وسائل البيان من استعارة وكناية ومجاز وغيرها ليست في حقيقة أمرها هي البيان كله، فهدف هذا العلم يكمن في توضيح الدلالة وإبراز المعاني بطرق مختلفة أي:"الدلالة فهم أمر من أمر، الأول المدلول، والثاني الدال وهي إما لفظية وإما غير لفظية والثانية لا علاقة لها بمباحث هذا الفن."[4]

ونخلص في الأخير إلى أن البيان هو: "العلم الذي يبحث فيه عن أبواب التشبيه والمجاز والكناية من حيث إنها طرق مختلفة لتأدية المعنى الواحد تارة بطريقة واضحة لا شيء فيها من الخفاء وتارة بطريقة فيها خفاء قليل أو كثير مراعى في ذلك ما يقتضيه المقام فخطاب الذكى يناسبه من الاعتبار وخفاء المجاز أو الكناية أو دقة التشبيه

---

[1]– عمار ساسي، المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القران، ص43.

[2]– أبو عدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني –علم البيان–علم البديع ، ص143.

[3]– عمار ساسي ، الإعجاز البياني في القران الكريم دراسة تطبيقية في آيات المحكمات ، المرجع السابق، ص241.

[4]– مصطفى المراغي ، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط4 ،2007م ص209.

وتفصيله ما لا يناسبه خطاب الغبى من الوضوح والظهور، فلذلك أفردت هذه المباحث من حيث إنها طرق مختلفة وجُعلت علما واحدا هو الذي سماه السكاكي علم البيان."[1]

2- مفهوم الإعجاز البياني:

إن قضية الإعجاز البياني من القضايا التي بدأت تفرض وجودها من أول البعث فمنذ نزول الوحي وتلقي الرسول صلى الله عليه وسلم الرسالة وتلاوتها على قومه حيث أدرك هذا الأخير أن البيان القرآني من أهم وجوه الإعجاز القرآني وأن العرب رغم ما يملكون من لغة وأسلوب وسليقة، إلا أنهم لا يستطعون أن يأتوا بمثله لأنه كلام علام الغيوب وليس كلام بشر، فقد أثبت الإعجاز القرآني "عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن وقصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توفر ملكتهم البيانية وقيام الداعي على ذلك، وهو استمرار تحديهم، وتقرير عجزهم عن ذلك ."[2]

فالخطابي من أبرز الذين تحدثوا في القديم عن الإعجاز البياني واللغوي للقرآن الكريم حيث يقول: "إنّ في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني بحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب كالعلم والمعرفة ... و الأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك لأن لكل لفظة منها خاصيته تتميز بها عن صاحبتها هي بعض معانيها وإن قد يشتركان في بعضها، تقول عرفت الشيء وعلمته إذا أردت الإثبات الذي يرتفع معه الجهل، إلا أن قولك عرفت يقتضي مفعولا واحدا كقولك عرفت زيدا، وعلمت يقتضي مفعولين، كقولك علمت زيدا عاقلا، وذلك صارت المعرفة تستعمل خصوصا في توحيد الله تعالى وإثبات ذاته فتقول :عرفت الله ولا تقول: علمت الله إلا أن تضيف إليه

[1]- الشيخ عبد الرزاق، علم البيان وتاريخه، المرجع السابق، ص59.

[2]- سامي محمد هشام حريز، من الإعجاز البياني في القرآن الكريم نظريا وتطبيقيا ، ص27.

صفة من الصفات، فتقول: علمت الله عادلا، وعلمته قادرا، ونحو ذلك من الصفات."[1]

فالإعجاز البياني: "يرجع في لبّه وجوهره إلى النظم وهذا النّظم ليس خاصا بالعرب وحدهم، والنّظم هو ذلكم الترتيب الذي كان لكلمات القرآن جملها من جهة، واختيار هذه الكلمات من جهة أخرى، ثم ترتيب الجمل والآيات في السورة، وتلك قضية كان يدركها العربي عند نزول القرآن بذوقه وسليقته، أما العرب اليوم فإنها يدركونها بالفكرة لا بالفطرة بعد أن تفسر لهم وتبين لهم دقائقها."[2]

وقد ذكر الإمام أبو سليمان الخطابي "إنّما الكلام يقوم بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم و إذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة ولا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل في نعوتها وصفاتها."[3]

وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني أن الإعجاز مبني على" النظم "ولا يعني بالنظم أنه نظم لم يوجد من قبل قط، بل من ذلك مضمونا إلى أن يبين ذلك النظم من سائر ما عرف ويعرف من ضروب النظم، وما يعرف أهل العصر من أنفسهم أنهم يستطيعونه."[4]

وقد اعتبره الباقلاني وجها من وجوه القرآني في قوله: "أنه بديع النظم عجيب التأليف وتناهيه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه ."[5]

---

[1]– محمد بركات، دراسات في الإعجاز البياني، ص188.

[2]– سامي محمد هشام حريز، المرجع السابق، ص29.

[3]– الرماني ،الخطابي، عبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص27.

[4]– محمد بركات، المرجع السابق ، ص129.

[5]– الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص33.

و ذهب طائفة من المتأخرين أن وجه الإعجاز ما تضمنه القرآن من المزايا الظاهرة والبدائ الراقية في الفواتح والمقاصد والخواتيم في كل سورة، وفي مبادئ الآيات وفواصلها قالوا والمعول على ثلاثة خواص:

1 - الفصاحة.

2- البلاغة في المعاني .

3- صورة النّظم.

ومحصل هذا النظم أن الإعجاز في القرآن كله لأن القرآن كله معجز، وهو معجز لأنه معجز."[1]

و الإعجاز البياني: "هو موضوع التحدي وذلك حيث طلب من الكفار أن يأتوا بمثله هو البيان القرآني، والمثلية في التحدي هي مثلية بيانية. فالبحث في الإعجاز :لابد أن يكون عن شيء موجود في كل سورة، ونجد الظاهرة العامة هي:" البيان"، لأنه ينتظم القرآن الكريم كله، سورة على اختلافها طولا وقصرا."[2]

ولذا قيل :"أنه بديع النظم عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه وقد شعر العرب أنفسهم بما في القرآن من سمو عن قول البشر، فنسبوه إلى السحر فكأنهم يقولون إن القرآن لا يستطيع أن يقوله إلا من أوتي قوة خارقة وليس من جنس قوى البشر."[3]

---

[1]- مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص148.

[2]- سامي محمد هشام حريز، المرجع السابق، ص28.

[3]- أحمد بدوي، من بلاغة القرآن ، نهضة مصر،(د.ط) ، مارس 2005 م، ص47.

الفصل الثاني: الأوجه الاعجازية البيانية في آيات المواريث في سورة النساء.

المبحث الأول: مدخل إلى سورة النساء.

المبحث الثاني: الإعجاز البياني في آيات المواريث.

تمهيد:

يُعَدّ علم البيان من أهم علوم البلاغة وأسماها منزلة لتشعب مباحثه وتعدد أبوابه وفصوله، التي بها يظهر المعنى بأحسن صورة وحلة، وذلك عن طريق إيراد المعنى الواحد بطرق وبوجوه عدة، مما يفتح المجال أو الفسحة للمتكلم للتعبير بشتى الفنون عن المعنى الواحد، فيسعى للتخيير بين التشبيه والاستعارة والمجاز وغيرها من المظاهر لإظهار مقاصده ومعانيه، فميزة هذا العلم أو نقول خصوصياته التي جعلته فنا وأكثر شأنا من العلوم البلاغية الأخرى هي طغيانه وشموله القرآن الكريم، ووجوده خاصة في بعض الآيات المحكمات مما جعل القرآن الكريم أكثر بلاغة وروعة في شرف معانيه ومقاصده، وأغراضه المختلفة وصدق شريعته وسمو حكمته، وجلال دعوته وأيضا لعظمة تصويره للحياة الإنسانية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها وخلود أثره على مر الزمان فتعبير القرآن بالتصوير البياني في مقاصده وأغراضه يعد مظهرا من مظاهر إعجازه وصورة من صور التحدي ،التي أعجزت العرب وأبهرتهم.

المبحث الأول: مدخل إلى سورة النساء

أولا :المعنى الإجمالي للسورة وسبب نزولها:

يُعدُّ المجتمع الجاهلي من أكبر المجتمعات التي سادت فيها الكثير من المعتقدات والعادات السيئة والدنيئة، فقد كان مجتمعا مقسما إلى ثلاث طبقات: طبقة الملوك والطبقة الوسطى والطبقة الضعيفة، هذه الأخيرة التي تضم فئة الضعفاء بما فيهم من النساء والأطفال، حيث كان القوي يأكل الضعيف والغني يحتقر الفقير وهكذا، مما جعل الحقد والتسلط يعم المجتمعات في الجاهلية، فمجيء الإسلام ونزول القرآن رحمة للعالمين.

فبرحمته عز وجل قد شرّع الكثير من الأحكام التي تضمن حقوق الصغار والكبار والأيتام خاصة المرأة، والدليل على ذلك ما ورد في سور عديدة من القرآن ومنها سورة النساء التي احتوت على الكثير من القضايا والأحكام، التي عالجت القضايا الاجتماعية عامة وشؤون الأمة بصفة مجملة والقضايا الأسرية بصفة خاصة.

1- سبب التسمية :

لقد سميت هذه السورة(بسورة النساء) لذكر النساء فيها، وقد ابتدأت بأصل خلقة بني آدم، من ماذا خلق ؟ ثم ذكرت الأرحام وما يتصل بها من المواريث وغير ذلك، ثم ذكرت ما يتعلق بالنكاح لأن النكاح صلة بين النّاس، كما في قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ الفرقان :54. ثم ما يتعلق بمخاطبة اليهود والمنافقين، ثّم ما يتعلق بأحوال النزاع بين الزوجين."[1]

و سميت كذلك بسورة النساء، لأن معظم الأحكام التي وردت فيها كانت تدور حول النساء.

[1]- محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم – سورة النساء – م1، دار بن الجوزي ، ط1 ،1430هـ، ص8.

2_ سبب نزول السورة :

بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وإقامته الدولة الإسلامية في المدينة المنورة أخذ أعداء الله وأصحاب المنهج الجاهلي يخططون للإحاطة بالدولة الإسلامية، ولكن كان أمر الدولة الإسلامية في كل يوم يزداد رفعة، ولقد كان بداية نزول سورة النساء في السنة الثالثة للهجرة، وامتد نزولها إلى السنة الثامنة للهجرة، وخلال هذه السنوات كانت الدولة الإسلامية كل يوم في صعود وانتصار."[1]

3- ترتيبها:

سورة النساء" مدنية وعدد آياتها مائة وستة وسبعون آية."[2]

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء :1.

فالمدني عند الجمهور: "ما نزل بعد الهجرة والمكي ما نزل قبل الهجرة، فالمدني ما نزل بعد الهجرة ولو في غير المدينة، والمكي ما نزل قبل الهجرة ولو كان في غير مكة وعلى هذا فالمدار في تعيين المكي والمدني على الزمان لا على المكان، وقد ذكر العلماء- رحمهم الله – ضوابط ومميزات للمكي والمدني وهي معروفة في علم أصول

[1] _ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، م1، دار الشروق ، ط1، 1980 م، ص554.

[2] _ الزمخشري ، تفسير الكشاف ، دار المعارف ، ط1 ،2009م، ص214.

التفسير .فالآيات المدنية الغالب عليها السهولة وطول الآيات، وموضوعها في الأمور الفرعية، كالبيوع، وآداب المجالس، وآداب الاستئذان وغير ذلك."[1]

وقد وردت في كتاب العزيز الحكيم "السورة الرابعة بعد الفاتحة والبقرة وآل عمران، وورد في صحيح مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه: ((أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران)). وهذا الترتيب كان أول الأمر، ثم رتبت في الأخير هكذا: البقرة ثم آل عمران، ثم النساء واستقر على ذلك المصحف الذي جمعه أبو بكر رضي الله عنه ثم عثمان بن عفان رضي الله."[2]

ورد عند ابن كثير "أنها مدنية، حيث قال العوفي عن ابن عباس: نزلت سورة النساء بالمدينة، وكذا روى ابن مردودية عن عبد الله ابن الزبير، وزيد ابن ثابت، وروى عن طريق عبد الله ابن لهيعة، عن أخيه عيسى عن عكرمة عن ابن عباس قال: لّما نزلت سورة النساء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لاحْبُس)."[3]

وقد قال الرازي في مناسبة سورة النساء أولها لأخرها: "واعلم أن في هذه السورة لطيفة عجيبة، وهي أن أولها مجتمل على بيان كمال قدرة الله تعالى فإنه قال:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ ﴾ النساء :1.

وهذا دال على سعة القدرة وأخرها مشتمل على بيان كمال العلم وهو قوله:﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ النساء: 176.

---

[1]– محمد بن صالح العثيمين ، تفسير القرآن الكريم سورة النساء ، المصدر السابق، ص7.

[2]– ابن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي ابن محمد السلامة، ج2، دار طيبة، ط1، 2، 1997م، 1999م، ص205.

[3]– المرجع نفسه،ص205.

وهذان الوصفان بهما تثبت الربوبية والألوهية والجلالة والعزة ."[1]

4- المعنى الإجمالي للسورة :

سورة النساء هي سورة قرآنية موجودة في الجزء الرابع من القرآن الكريم في الحزب الثامن، وردت في ترتيب المصحف الكريم بعد سورة آل عمران وقبل سورة المائدة. فقد ورد عن معن بن عبد الرحمان بن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، قال :((إن في سورة النساء لخمس آيات ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها)).[2]

وقال عبد الرزاق: "أخبرنا معمر، عن رجل عن ابن مسعود قال في خمس آيات من النساء: لهن أحب إلي من الدنيا جميعا: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ النساء:31، وقوله : ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا ﴾ النساء: 40 ، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ النساء:48، وقوله : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ النساء:110، وقوله :﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا

[1]- أبو فضل العبد الله محمد الصديق الغماري، جواهر البيان في تناسب سور القرآن ، مكتبة القاهرة ط3،2006م ص122.

[2]- ابن كثير، المصدر السابق، ص205.

بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ النساء:152."[1]

وفي رواية أخرى، روي ابن جرير: ثم روى عن طريق وفي صالح المرى، عن قتادة، عن ابن عباس قال: ثماني آيات نزلت في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت."[2]

فهي من أعظم سور القرآن الكريم، لما جاءت فيها من أحكام شرعية تخص الأمة والمجتمع والأسرة، فمعظم آياتها تتحدث عن أنواع عديدة من الضعفاء والمستضعفين كاليتامى والنساء والعبيد، كما تتحدث عن الفئات غير المسلمين التي تعيش بين المسلمين الذين قد يظلمهم ويحتقرهم الناس ،كما تحدثت عن العلاقات الزوجية وعن المواريث.

فنجد في الآيات الأولى أنها تناولت الحديث عن تشريعات اليتامى، وكيفية التعامل معهم ومع أموالهم، والحديث عن أحكام للنساء. كما تحدثت عن أحكام المواريث بالتفصيل وبين حكم الحدود في النساء والأمر بمعاملتهن المعاملة الحسنة، ثم حذرت من أكل أموال الناس بالباطل، ومن قتل النفس، كما خصت الذكر عن حقوق كل من الزوجين عن الآخر، وأكدت على ضرورة الإحسان إلى الوالدين والأقربين في قوله تعالى:

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ

[1]-ابن كثير، المصدر السابق، ص205.

[2]-المصدر نفسه ، ص205.

مُّخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾ النساء:38. وتحدثت عن شروط الصلاة والجهاد في سبيل الله، وما يترتب عليه من الأجر والثواب، ودعت إلى تطبيق العدل على جميع الناس، ودعت إلى الإيمان بالله تعالى وجميع الرسل لأن ذلك شرط لصحة الإيمان، ثم دعا أهل الكتاب إلى عدم الغلو في شأن المسيح باعتقادهم فيه أنه ابن الله أو ثالث ثلاثة عن طريق إرسال الرسل في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ النساء:174وختمت السورة بما بُ دأت به من مراعاة حقوق الورثة من الأقرباء وبينت هذه الحقوق بالتفصيل، فكانت بعض أهداف هذه السورة هي:"المحافظة على كرامة المرأة واعطائها حقوقها التي فرضها الله تعالى، كالمهر والميراث، ودعت إلى الحفاظ على المجتمع، وتعرضت بالتفصيل لأحكام المواريث، بحيث حددت نصيب كل فرد على الوجه الدقيق الذي يحقق العدالة والمساواة، كما دعت إلى الاستعداد للأمن الخارجي من أجل الحفاظ على الأمة واستقرارها، فأمرت بأخذ العدة والاستعداد لمكافحة الأعداء، ووضعت بعض قواعد المعاملات الدولية بين المسلمين والدول الأخرى في السلم والحرب."[1]

[1]– موسى مسلم سلام الحشاش، الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنية، دراسة تطبيقية على سورة النساء، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، 2007م، ص144.

ثانيا: آيات الميراث

1- لفظة "ورث "في لغة العرب:

جاء في المعجم الوسيط:"لفظة (ورث)أي ورث فلان المال ومنه، وعنه، (يرثه) ورثا، وورثا، وإرثا، وورثة: صار إليه ماله بعد موته. ويقال: ورث المجد وغيره. وورث أباه ماله ومجده: ورثه عنه. فهو وارث (ج) ورثة، وإرث."[1]

ويقال: "أورث فلانا جعله من ورثته ولم يدخل أحدا معه في ميراثه فلانا شيئا: تركه له. وأعقبه إياه، ويقال: أورثه المرضُ ضعفا. والحزن هما و أورث المطر النبات نعمة."[2]

ولفظة (ورث) عند ابن فارس الواو و الراء و التاء كلمة واحدة، هي الورث. والميراث أصله الواو. وهو أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسب أو بسبب. قال: (ورثناهن عن أباء صدق ونورثها إذا متنا بنينا)."[3]

وجاء في لسان العرب لابن منظور:"ورث فلانا مالا أورثه ورثا ووراثا إذا مات مورثك، فصار ميراثه لك. وقال الله تعالى إخبارا عن زكرياء ودعائه إياه:﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ مريم:5:6. أي يبقى بعدي . فيصير له ميراثي."[4] ويقول الجوهري: "الميراث أصله موراث، انقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها، والتراث أصل التاء قبله واو، ابن سيده، و الورث والتراث والميراث، ماورث، وقيل الورث والميراث، في المال والإرث في الحسب."[5]

---

[1]-مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، ص1024.

[2]-مجمع اللغة العربية، المصدر نفسه ، ص1024.

[3]-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج6، دار الفكر، ط3،1980م، ص105.

[4]-ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، (ط.ج)،1119 م، ص4808.

[5]- المصدر نفسه، ص4809.

2- لفظة(ورث) في القرآن الكريم:

وردت هذه اللفظة الكريمة "(ورث) بتصريفاتها واشتقاقاتها بدون تكرار ثلاثة وعشرين مرة (فعل ماض، فعل مضارع، فعل مبني للمجهول، اسم فاعل، اسم، وبالإفراد والجمع"[1]. في قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾المؤمنون:10:11. وفي قوله تعالى:﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ النمل:16.وفي الحديث في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "((اللهم أمتعني بسمعي وبصري، واجعلهما الوارث مني، قال ابن شُميل: أي أبقهما معي صحيحين سليمين حتى الموت، وقيل: أراد بقاءهما وقوتهما عند الكبر وانحلال القوة النفسانية فيكون السمع والبصر وارثي سائر القوى والباقين بعدها. وقال غيره: أراد بالسمع وعي ما يسمع والعمل به، وبالبصر الاعتبار بما يرى ونور القلب الذي يخرج به من الحيرة والظلمة إلى الهدى."[2] وفي قوله تعالى:﴿ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ مريم:6. وتعني وراثة النبوة والعلم والفضيلة دون المال.وفي قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ الشعراء-59.

[1]-أحمد رقب ، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، آيات الميراث في القرآن الكريم دراسة بيانية، م5 ع3/ب 2009 م ، ص22.

[2]-ابن منظور، المصدر السابق، ص4809.

ومنه فالميراث في اصطلاح الفقهاء: "هو اسم جامع لما يستحقه الوارث من مورثه لسبب من أسباب الإرث، أو هو انتقال مال الغير إلى الغير على سبيل الخلافة."[1]

3- سرد آيات المواريث:

إن موضوع الميراث من المواضيع التي تتناول الحديث عن الحقوق المتعلقة "بالتركة إجمالا، وأسباب الميراث وشروطه وموانعه وأنواع الورثة وبيان نصيب كل واحد وحجب بعض الورثة حجبا كليا أو جزئيا والعول والرد والمخارجة والتصحيح إلى غير ذلك مما يتوقف عليه تقسيم التركات بين أصحابها، والعالم بالفرائض يسمى فارضا وفريضا فراضا."[2]

وهذا ما ورد في سورة النساء التي عالجت القضايا المتعلقة بالميراث، بحيث وردت خمس آيات فيها على وجه الإجمال وعلى وجه التفصيل، بحيث أشارت الآيات الأولى من فواتح السورة إلى تشريعات اليتامى والتحذير من أكل أموالهم بالباطل بقوله تعالى:

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ النساء:2.أي بمعنى "أعطوا وآتوا التي لهم سواء كانت عندكم بصفتكم أولياء، أو لم تكن عندكم ولكن أخذتموها بغير حق، فلا تخونوا منها ولا تكتموا منها شيئا بل أعطوها كما كانت."[3]

---

[1]-جمعة محمد محمد براج، أحكام الميراث في الشريعة الإسلامية، دار الفكر، ط1، 1981 م، ص23.

[2]-المرجع نفسه ، ص24.

[3]-محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم – سورة النساء- ، ص19،20.

فلآيات المجملة في قوله تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ النساء:7.

ففي سبب نزولها قال قتيبة :" كان أهل الجاهلية يمنعون النساء الميراث ويحصون به الرجال، حتى كان الرجل منهم إذا مات وترك ذرية ضعاف وقرابة كبارا، استبد بالمال القرابة الكبار، وقد روي أن رجلا من الأنصار مات وترك ولدا أصاغر وأخا كبيرا فاستبد بماله فرفع أمره إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فقال له العم: يا رسول الله، إن الولد صغيرا لا يركب ولا يكسب، فنزلت هذه الآية."[1]

"وكان هذا من الجاهلية تصرفا بجهل عظيم فإن الورثة الصغار الضعاف كانوا أحق بالمال من القوي، فعكسوا الحكم وأبطلوا الحكمة، فظلوا بأهوائهم وأخطئوا في أرائهم."[2] وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ النساء:8.

في هذه الآية ثلاثة أقوال:

الأول:" أنها منسوخة، قال سعيد وقتادة وهو أحد قولي ابن عباس.

الثاني:أنها محكمة، والمعنى فيها الإرضاخ للقرابة الذين لا يرثون إذا كان المال وافرا والاعتذار إليهم إن كان المال قليلا، ويكون هذا على الترتيب بيانا لتخصيص"[3] قوله

---

[1]- ابن عربي أبي بكر محمد بن عبد الله ، أحكام القرآن الكريم، تعليق محمد عبد القادر عطا، القسم الأول، دار الكتب العلمية، (ط ج)، ص426.

[2]- المرجع نفسه، ص426.

[3]- المرجع نفسه، ص428.

تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ ﴾. "وأنه في بعض الورثة غير معين، فيكون تخصيص غير معين ثم يتعين في آية المواريث وهذا ترتيب بديع، لأنه عموم ثم خصوص ثم تعيين.

الثالث: أنها نازلة في الوصية، يوصي الميت لهؤلاء على اختلاف في نقل الوصية لا معنى لها."[1] فهذه الآية "مبنية لاستحقاق الورثة لنصيبهم، واستحباب المشاركة لمن لا نصيب له منهم، بأن يسهم لهم من التركة ويذكر لهم من القول ما يؤنسهم وتطيب به نفوسهم."[2]

وفي قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُ ﴾ النساء:11." فقد رويت في سبب نزول هذه الآية أحاديث كثيرة، "ففي البخاري عن جابر ابن عبد الله: أنه قال:((مرضت فعادني رسول الله وأبو بكر في بني سلمه فوجداني لا أعقل فدعا رسول الله بما توضأ، و رش علَي منه فأفقت فقلت:«كيف أصنع في مالي يا رسول الله» فنزلت﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ﴾. و روى الترمذي وأبو داوود وابن ماجة، عن جابر، قال: جاءت امرأة سعد ابن الربيع فقالت لرسول الله:«إن سعدا هلك وترك ابنتين وأخاه، فعمد أخوه، فقبض ما ترك سعد، وانما تنكح النساء على أموالهم» فلم يجبها في مجلسها ذلك"، ثم قالت «يا رسول الله ابنتا سعد» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ادع لي أخاه»، فجاء، فقال:«ادفع إلى ابنتيه الثلثين والى امرأته الثمن و لك ما بقي » ونزلت آية الميراث."[3]

---

[1]– ابن عربي، المرجع السابق، ص428.

[2]– المرجع نفسه، ص428.

[3]–ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج4، دار التونسية، (د.ط) ،1984م، ص256.

وجاء في الكشاف للزمخشري في قوله تعالى:"«يوصيكم الله » يعهد إليكم ويأمركم في أولادكم في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة، وهذا إجمال تفصيله «للذكر مثل حظ الأنثيين». قصد إلى بيان فضل الذكر، وقولك: للأنثيين مثل حظ الذكر قصد إلى بيان نقص الأنثى، وما كان قصد إلى بيان فضله كان أدل على فضله من القصد إلى بيان نقص غيره عنهولأنهم كانوا يُ ورثون الذكور دون الإناث وهو السبب لورود الآية. فقيل: كفى الذكور أن ضعف لهم نصيب الإناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به."[1]

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ النساء:11. ففي هذه الآيات "تولى الله تبارك وتعالى بيان نصيب كل وارث من التركة ولم يترك الأمر لتقرير الأبوين، وهذا يدل على أن نظام الإسلام كل مرده إلى الله، فهو الذي يحكم بين الوالدين وأولادهم، وبين الأقرباء وأقربائهم فليس للبشر إلا أن يتلقوا منه وينفذُوا وصيته وحكمه."[2] وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن

[1]– الزمخشري، تفسير الكشاف ، ص22،23.

[2]– جمعة محمد محمد براج، الميراث في الشريعة الإسلامية، المرجع السابق، ص31.

لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ النساء:12.

جاءت هذه الآية "لتبين قسمة التركات على النحو الذي أراده الله مراعى فيها المصلحة والنفع من العليم الخبير، أما لو تُرك الأمر فيها للناس فربما أعطوا من لا يستحق، وحرموا المحتاج."[1]

ففي هذه الآية أورد الله سبحانه وتعالى أقسام الورثة على أحسن الترتيبات وذلك لأن الوارث إما أن يكون متصلا بالميت بغير واسطة أو بواسطة، فإن اتصل به بغير واسطة فسبب الاتصال إما أن يكون هو النسب أو الزوجية، فحصل ههنا على أقسام ثلاثة أشرفها وأعلاها الاتصال الحاصل ابتداء من جهة النسب، وذلك هو قرابة الولاّد ويدخل فيها الأولاد والوالدان فالله تعالى قدم حكم هذا القسم. وثانيها الاتصال الحاصل ابتداء من جهة الزوجية، وهذا القسم متأخر في الشرف عن القسم الأول، لأن الأول ذاتي وهذا الثاني عرضي، والذاتي أشرف من العرضي، وهذا القسم هو المراد من هذه الآية التي نحن الآن في تفسيرها. وثالثها: الاتصال الحاصل بواسطة الغير وهو المسمى بالكلالة."[2]

---

[1]– جمعة محمد محمد براج، المرجع السابق، ص31.

[2]– محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج9، دار الفكر، (د .ط) ص227.

"فلا ذكر تعالى ميراث الفروع من الأصول، وميراث الأصول في الفروع، أخذ في ميراث المتصلين بالسبب لا بالنسب وهو للزوجية هنا، ولم يذكر في القرآن التوارث بسبب الولاء والتوارث المستقر في الشرع هو بالنسب والسبب الشامل للزوجية والولاء، وكان في صدر الإسلام يتوارث بالموالاة، والخلف والهجرة فنسخ ذلك، وقدم ذكر ميراث سبب الزوجية على ذكر الكلالة. في قوله تعالى:﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾ النساء:12. الكلالة خلو الميت عن الوالد والولد، وقال أبو بكر وعمر وعلي وسليم بن عبيد وقتادة والحكم وابن زيد والسبعي، وقالت طائفة، هي الخلو من الولد فقط."[1]

وفي الآية الأخيرة من سورة النساء في قوله تعالى:﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ النساء: 176].

هي آخر سورة نزلت، وقال كثير من الصحابة:"من آخر ما نزل وقال جابر ابن عبد الله، نزلت بسبب:«عادني النبي- صلى الله عليه وسلم- وأنا مريض، فقلت يا رسول الله كيف أقضي في مالي؟. كان لي تسع أخوات، ولم يكن لي ولد ولا والد»، وقيل إن جابر أتاه عن طريق مكة عام حجة الوداع، فقال: إن لي أختا فكم آخذ من ميراثها إن ماتت

[1]-أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ،ج3 ، دار الكتب العلمية ، ط3 ،1993م، ص196.

فنزلت، وتقدم الكلالة في لفظ الكلالة اشتقاقا ومدلولا، وكان أمرها أمرا مشكلا، روي عنه في أخبارها روايات، وفي حديث أن الرسول –صلى الله عليه وسلم –قال:« يكفيك آية الصيف، التي نزلت في آخر سورة النساء ». وروى أبو سلمه، عن النبي – صلى الله عليه وسلم–التي في الصيف، وهي ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً ﴾ النساء:12. والظاهر أنها (يستفتونك) لأن البراء قال: هي آخر آية نزلت."[1]

وهذا ما جعل سورة النساء من أعظم سور القرآن مكانة، لما احتوته من أحكام قيمة خاصة بقواعد تشريع الميراث، التي تضمن الحقوق خاصة حقوق المرأة والضعفاء.

المبحث الثاني:الإعجاز البياني في آيات المواريث

يعد الإعجاز البياني من أهم وجوه الإعجاز القرآني، الذي تعلق بالآيات المتشابهات والمحكمات، خاصة منها الواردة في سورة النساء، التي تتوزع وتتنوع فيها الصور البلاغية كثيرا، كالتشبيه والاستعارة والكناية وغيرها واشتمالها أيضا مظاهر إعجازية، التي أكدت على مظاهر إعجاز القرآن من جهة واستحالة العرب على الإتيان بمثله من جهة أخرى.

أولا: مظاهر الإعجاز البياني

لقد وردت مظاهر الإعجاز البياني في ثنايا كتب عديدة، من خلال تفسير نصوص القرآن الكريم، وهذا ما جعل الأستاذ شوقي ضيف يقول في هذا الصدد:"على أن يلاحظ أنه اختار الآيات التي تصور طرقا مختلفة في الصياغة والدلالة، متمثلا بما يشبهها من أشعار العرب وأساليبهم وشارحا لما تتضمنه من لفظ غريب، وأداه هذا الاختيار إلى أن يتحدث عن ما في الآيات من استعارة، وتشبيه وكناية، وتقديم وتأخير

[1]– أبو حيان الأندلسي ، المصدر السابق، ص422.

وحذف وتكرار، وإضمار، وتوسع في تصوير الخصائص التعبيرية؛ كالدلالة بلفظ العموم على معنى الخصوص، وكمخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، ومخاطبة الجميع مخاطبة الواحدة، ومخاطبة الواحد مخاطبة الاثنتين. وتنبيه في ثنايا ذلك إلى الصورة العامة للالتفات، وإن لم يقترح لها اسمه الاصطلاحي."[1]

وعليه فقد تجلت مظاهر الإعجاز البياني فيما يلي:

1-الخصائص العامة للأسلوب القرآني:

إنّ المتأمل في الأسلوب القرآني يرى أنه كلام معجز لا مثيل له، وأنه برهان على براعة تصريف القول ودلالة على حسن النّظم، وقد اُكتشف ذلك في عديد آيات القرآن الكريم خاصة عند تأملنا لآيات الميراث في قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ النساء:11. فالمتأمل في هذا الترتيب البديع الوارد في هذه الآية، في تقديم ذكر الذكر وتأخير ذكر الأنثى في النصيب، وذلك ليبّين لنا سبحانه وتعالى فضل ومزية الذكر على الأنثى وعبر بالذكر والأنثى دون النساء والرجال ليبين مدى استواء الكبار والصغار. وهذا إنما يدل على المسحة اللفظية القرآنية العجيبة التي تجلت خاصة في نظامه الصوتي وجماله اللغوي.

ونلحظ كذلك الترتيب الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾ النساء:11. فالله عز وجل بعد ذكره الفروع ومقدار ما يرثون أخذ في ذكر الأصول ومقدار ما يرثون، فقد ذكر أن الميت يرث منه أبواه كل واحد السدس، إن كان

[1]- العيد حذّيق، جهود أهل السنة والجماعة في الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن الكريم- ابن القيم- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية ، تخصص: اللغة والدراسات القرآنية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر1، 2010م 2011م، ص46.

للميت ولد وشمل قوله تعالى:﴿ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾ النساء:11. سواء أكان ذكرا أم أنثى، واحد أو جماعة، فلفظة (ولد) جاءت للدلالة على العموم لا على الخصوص.

وكذلك نفس الأمر بالنسبة لقضية تقديم ذكر الوصية عن ذكر الدّين، فقد تكرر ذكر كليهما بنفس الترتيب. كقوله تعالى:﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ ﴾ النساء:11. وقوله تعالى:﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ ﴾ النساء:12. ﴿ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ ﴾ النساء:12.

والسر في ذكر ترتيب ذلك هو بيان أن الوصية تشبه الميراث، وكذلك الحث على أدائها و التنبيه على أن الدين يشبه الوصية في وجوب الأداء، وهذا ما ذكره الجرجاني بقوله: "والنكتة في تقديم الوصية على الدّين أنها تشبه الميراث في كونها مأخوذة بلا عوض، فيشق إخراجها على الورثة فكانت لذلك مظنة للتفريط فيها بخلاف الدّين، فإن نفوسهم مطمئنة إلى أدائه، فقد تقدم ذكرها حثا على أدائها معه، وتنبيها على أنها مثله في وجوب الأداء والمسارعة إليه ولذلك جيء بينهما بحرف التسوية للدلالة على تساويهما في الوجوب."[1] فالله عز وجل قد كرّر ذلك في كل مرة ليبين ويوضح مدى خطورة الأمر على المتماطل والمتكاسل في أداء الأمر، فكل من الوصية والدين أمر واجب على تأديته، وقد وضّح على أنهما متساويين في استعماله حرف التسوية (أو) للدلالة على تساويهما في الوجوب. وعليه فجل ألفاظ آيات الميراث في سورة النساء وردت متجانسة والمعاني متلاقية، وهذا ما نلحظه في ترتيب الآيات حيث ذكر في الآيات الأولى منها قواعد الميراث أو الإرث، فهي آيات مجملة.كقوله تعالى:﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ

[1]– أحمد رقب، آيات الميراث في القرآن الكريم دراسة بيانية ، ص35.

وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ النساء:7. أما الآيات التي سُردت بعدها فهي التي بيّنت نصيب كل وارث، أي تناولت أنصبة الميراث بالتفصيل فهي آيات مفصلة، وهذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ النساء:11. وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ النساء:12. وفي الآية الأخيرة التي اختتمت بها السورة في قوله تعالى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ

قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ النساء:176. ولعل هذه الخصائص هي التي جعلت له طابعا معجزا في لغته وبلاغته.

2-الجملة القرآنية:

لقد تجلت مظاهر الإعجاز البياني في الجملة القرآنية في:"الحذف والذكر، فقد نجد جملا ذكرت فيها بعض الكلمات، على حين نجد جملا أخرى مشابهة لها حذفت منها هذه الكلمات، ومنها التقديم والتأخير فقد نجد بعض الجمل قدمت فيها بعض الكلمات، ولكن هذه الكلمات نفسها أخرت في جمل أخرى."[1]

وهذا ما تجلى في قوله تعالى:﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾النساء:5، فهذه الآية مشابهة للآية الثامنة من سورة النساء، غير أنها اشتملت على الذكر في قوله:﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾ النساء:5، وحذف الفعل (واكسوهم) في قوله:﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾النساء:8، فذكر في الآية الأولى الفعل (واكسوهم) وحذفه في الآية الثانية.

[1]- فضل حسن عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، ج1، دار الفرقان ، ط1 ،1997م ، ص116.

فالله عز وجل أراد بهذه الآية أن يدعو إلى "قسمة المواريث، وفي قوله: ﴿ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ النساء:8.أي: فارضخوا لهم من المال قبل القسمة."[1]

وقد قال صاحب الكشاف في هذا الصدد: "الضمير في قوله:(وارزقوهم منه) عائد إلى ما ترك الوالدان والأقربون وهو أمر على الندب، وانما قدم اليتامى على المساكين لأن ضعف اليتامى أكثر، وحاجتهم أشد فكان وضع الصدقات فيهم أفضل وأعظم في الأجر."[2] أما الحذف والتقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾النساء:7. فقوله (للرجال نصيب مما) فيه تقديم وتأخير أي:" للرجال: جار ومجرور متعلق بخبر مقدم، ونصيب: مبتدأ مؤخر. أما الحذف في قوله:(مّما): جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من نصيب. وكذا في قوله: (ترك الوالدان): جملة صلة الموصول لا محل لها والعائد الموصول ضمير محذوف خطا واختصارا منصوب محلا لأنه مفعول به، والتقدير: مما تركه الوالدان. كما ورد الحذف في قوله:(نصيبا): مفعول به منصوب على الاختصاص أو المدح بفعل محذوف تقديره: أعني."[3]

---

[1]– محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تفسير البغوي– معالم التنزيل– م2 ، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة خيرية، سليمان مسلم ، دار طيبة، ط1،1989م، ص170.

[2]– عمار ساسي ، مدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم ، ص298.

[3]– بهجت عبد الله الواحد الشيخاني، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز، م2 ، آل عمران، سورة النساء، مكتبة دنديس، ط1 ،2001م، ص283.

وقد ورد الحذف والتقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ النساء:11.

فالتقديم ورد في قوله: (يوصيكم) أي: "الكاف ضمير متصل-ضمير المخاطبين- مبني على الضم في محل نصب مفعول به مقدم."[1] وكذا ورد في قوله : (للذكر) :"جار ومجرور متعلق بخبر مقدم، و(مثل) :مبتدأ مؤخر. كما ورد الحذف في قوله:(فوق اثنتين): أي اثنتين: صفة مجرورة لموصوف محذوف اختصارا لأنه معلوم، التقدير:فوق بنتين اثنتين. كما نجد كلمة(ثلثا) قد ورد فيها حذف وتأخير في نفس الوقت أي: هي مبتدأ مؤخر مرفوع بالألف لأنه مثنى وحذفت نونه للإضافة، أصله:(ثلثان)."[2] وكذلك حذف فاعل الفعل(ترك) وهو موجود في الذهن لدلالة الحال عليه وإن لم يتلفظ به لا سابقا ولا لاحقا حتى قُدر بضمير مستتر يعود على مذكور، لكن البلاغة تقتضي حذفه لأنه وان لم يذكر لفظا فقد تضافر السياق على ذكره معنى فالضمير في (لأبويه) عائد عليه الضمير في (ترك)، وهو ضمير الميت الدال عليه معنى الكلام وسياقه. فالسياق يقدر فاعل(ترك) من خلال المعنى المتقدم في الآية الشريفة، وهو الشخص المتوفى ويترك أموالا لورثته.

---

[1]- بهجت عبد الواحد الشيخاني ، المصدر السابق ، ص286.

[2]- المصدر نفسه، ص288.

وكذا في قوله: (وإن كانت واحدة) "ورد الحذف أي حذف الموصوف (بنتا) وأقيمت الصفة (واحدة) مقامه. وقوله أيضا: (من بعد وصية): جار ومجرور متعلق بخبر لمبتدأ محذوف التقدير: قسمة هذه الأنصبة."[1] وفي الآية الموالية في قوله تعالى: ﴿ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ النساء:12. فقد ورد" الضمير العائد على الموصول ضمير محذوف خطا واختصارا في قوله: (ما ترك أزواجكم) لأنه مفعول به، والتقدير: ما تركه أزواجكم. وكذلك نفس الشيء بالنسبة لقوله: (مّما تركن) فالتقدير:(مما تركنه)."[2]كما نجد الحذف في قوله تعالى:(وصية من الله) أي:"هي: مصدر مؤكد لفعل محذوف تقديره: (يوصيكم بذلك وصية)."[3]

[1]– بهجت عبد الواحد الشيخاني، المصدر السابق ، ص289، 290.

[2]– المصدر نفسه ، ص293.

[3]– المصدر نفسه ، ص296.

كما تجلت مظاهر الجملة القرآنية في قوله:﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ النساء:176. "فقد ورد الحذف في قوله:(إن امرؤ) فاعل لفعل محذوف والتقدير:(إن هلك امرؤ)."[1]وفي قوله كذلك:(يبين الله لكم أن تظلوا): أي :أن تظلوا: مصدر مؤول في محل نصب مفعول لأجله على حذف المضاف أي: كراهية أن تظلوا."[2]

3- الكلمة القرآنية:

تُعَدّ الكلمة القرآنية هي أساس النّظم ولعل ما دل عليه قول الراغب الأصفهاني في كتابه(المفردات) حيث قال:"هي لُبُّ كلام العرب وزبدته، وواسطته، وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكام في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المترفعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة."[3] وكذلك قول الدكتور عبد الفتاح لاشين:"وهكذا نجد أن التعبير القرآني إذا وضع اسما معرفة في مكان، أو نكرة في موضع فإنما يكون ذلك لحكمة يعلمها الله وسرٌّ

[1]- محمد بن صالح العثيمين ، القرآن الكريم – سورة النساء- ج 2 ، ص536.

[2]- بهجت محمد عبد الواحد الشيخاني ، المصدر السابق ، ص167.

[3]- فضل حسن عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن،113 ،114ص.

تقتضيه اللغة وهدف يقصده في المعنى، ولو حاولنا وضع أحدهما مكان الأخر،لا اختل الناسق في الآية، وزوال الانسجام المطلوب في التركيب."[1]

وهذا ما دققنا النظر فيه في القرآن الكريم خاصة آيات الميراث منه فقد نجد أن الله عز وجل قد اختار كلمات مناسبة بحيث يعجز العالم عن تأويلها والإتيان بمثلها كقوله تعالى:﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ النساء:7 فكلمة (الوالدان)خصها الله بالذّكر في هذه الآية ولم يستعمل كلمة (الأبوان) والسرُّ في ذلك هو: أن هناك فرق بين (الأب) و (الأم) و(الوالد) و(الوالدة). فكلمة الأب متصلة بالتربية والرعاية وتحمل المسؤولية وكذلك نفس الشأن بالنسبة للأم . أما بالنسبة (للوالد) و(الوالدة) فالملحوظ فيهما معنى الوالدية والولادة."[2]

وكذلك نفس الأمر في قوله تعالى:﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ النساء:11 فالله عز وجل قد استعمل كلمتي، (الذكر والأنثى) دون استعماله لكلمتي النساء والرجال للتنصيص على استواء الكبار والصغار في الميراث. إضافة إلى اختيار كلمة (ولد) في قوله: ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ ﴾ النساء11، وتكرر ذلك عدة مرات في الآية 12، والآية 176 من سورة النساء، حتى بصيغة الجمع وذلك للدلالة على المفرد أو الجماعة ويشمل بالذكر الذكر والأنثى. ولعل هذا ما دل على إعجاز القرآن وعظمته أي عجزنا عن استبدال أي لفظ من ألفاظه بلفظ آخر فالله عز وجل قد نظم كل المفردات في موقعها المناسب ومحاولة تأويلها يؤدي إلى نقص في المعنى وضعف في الدلالة.

[1]– موسى مسلم سلام الحشاش، الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنية، دراسة تطبيقية على سورة النساء، ص85.

[2]– أحمد رقب ، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية ، آيات الميراث في القرآن الكريم دراسة بيانية ، ص33.

4-التكرار:

يعد التكرار من الأساليب المعروفة عند العرب وهو ما يعرف بالإطناب، فهو من محاسن الفصاحة والاستغناء عنه يقلل من اعتبار البحث ويقلل من علم الباحث وقد ورد التكرار في القرآن الكريم في مواضع عدة منها آيات الميراث وذلك للدلالة على أن كلام الله محكم ولا تغيير فيه . كالتكرار في قوله تعالى :﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ النساء:7، وكذلك تكرار كل من كلمتي (وصية) و(دين)في كل من الآيتين11و12،في قوله تعالى:﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ النساء :11.وقوله:﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ النساء:12. وقوله أيضا:﴿ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ النساء:12. وفي قوله:﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾النساء:12. فمن عظمة الله وحكمته أنه ذكر الأولاد فآيات الميراث وكرر ذلك تسع مرات، وكذا تكرار الآباء والأبوان ثلاث مرات وذلك للدلالة على حكمة الله سبحانه وتعالى في تقديم الأبناء على الآباء في الميراث. ونجد كذلك تكرار لكلمة (الكلالة) في الآية 12 من سورة النساء في قوله تعالى:﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾ وكذلك في الآية 176 في قوله تعالى: (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) فالكلالة التي تعني من لا ولد له ولا والد فقد ذكرها الله للتأكيد على ضرورة مراعاة حقوق الورثة والأقربون سواء كانوا من ذوي السبب أو النسب.

فالتكرار له دور في تقرير المعاني في الأنفس و تثبيتها في الصدور وكلما رُدّد رُسّخ في الذهن وسهل في عملية الفهم.

5- الإيجاز:

1-تعريفه:

أ- لغة: " التقصير، يقال: أوجز في كلامه إذا قصره، وكلام وجيز أي قصير".[1]

ب-اصطلاحا:" اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل أو هو التعبير عن اللفظ المقصود بلفظ أقل من المتعارف واف بالمراد لفائدة."[2] فقد ورد الإيجاز في قوله تعالى:

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ ﴾ النساء:11.فالله عز وجل بين في هذه الآية ميراث الواحدة إذا انفردت النصف، وميراث الأكثر من اثنتين الثلثان، ولم يذكر الميراث إذا كانت اثنتين فقط، ولم تزيد عن اثنتين، أم يكون النصف أم يكون الثلثين. كما ورد الإيجاز أيضا في قوله تعالى: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴾النساء:12. فجملة (غير مضار) جاءت في هذا الموطن وبهذا القيد في إثر الكلالة دون ما قبله، لأن القصد إلى مضارة الوالدين أو الأولاد وكذلك الأزواج نادرة، جدا- وانظر ما في هذا اللفظ غير مضار من الوجازة والاختصار فإن الضرار قد يقع على أنحاء:

أ- أن يوصي بأكثر من الثلث .

---

[1]- أحمد مصطفى المراغي، علم البلاغة والبيان والمعاني والبديع ، ص182.

[2]-المرجع نفسه، ص182.

ب- أن يقر بكل ماله أو ببعضه لأجنبي.

ج- أن يقر على نفسه بدين لا حقيقة له دفعا للميراث عن الورثة.

ونجد الإيجاز المحكم في ختام سورة النساء، حيث أن الآية الأولى حذف فيها ما يفهم بالأولى من الآية الثانية، وحذف من الثاني كذلك، فقد ذكرت الآية حكم ما فوق الاثنين ، ولم تذكر حكم الاثنتين ، وهو مأين في الآية الأخرى، لأنها ذكرت أن ميراث البنتين هو الثلثان، ولذا كانت البنت أقرب إلى الميت من الأخت فيكون ميراث البنتان الاثنتان، لأنهما أقرب، فلا يمكن أن يكون نصيبهن أقل من الثلثين. والآية الأولى نصت على أن الأكثر من بنتين تأخذان الثلثين، فلا زيادة عن الثلثين، فالأولى بأن لا يزيد عن الثلثين نصيب الأكثر من أختين، لأن الأكثر من اثنتين من ذوي القرابة لا يزيد عن الثلثين، فالأولى أن لا تزيد عن ذلك ذوات القرابة الأبعد.

6-الكناية:

تعريفها :هي: "ستر المقصود وراء لفظ أو عبارة أو تركيب، أوهي كلام يتكلم به الإنسان ويريد غيره."[1] ومن أنواعها، نجد: الكناية عن النسبة، ويراد بها نسبة أمر لآخر إثباتا أو نفيا. فيكون المكنى عن نسبة، كما أن يكون ذو النسبة مذكورا فيها أو غير مذكور كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ النساء:8، ففي قوله:(فارزقوهم منه)، قال الواحدي :"الضمير عائد إلى الميراث فتكون الكناية على هذا الوجه إلى معنى القسمة لا إلى لفظها كقوله:"ثم استخرجها من وعاء أخيه"والصواع مذكر لا يُكنى عنه بالتأنيث

[1]- كامل الخويسكي، في البلاغة العربية ، دراسة تطبيقية لمباحث علم البيان، دار الوفاء، ط1،2006م ، ص195.

لكن أريد المشربة فعادت الكناية إلى المعنى لا إلى اللفظ ، وعلى التقدير بالقسمة المقسوم، لأنه إنما يكون الرزق من المقسوم لا من نفس القسمة"[1].

وجاءت كذلك في قوله تعالى:﴿ وَلِأَبَوَيْهِ ﴾ النساء:11.'ويعني بالأبوين الأب والأم والهاء الذي أضيف إليه الأبوان كناية عن غير مذكور تقديره: ولأبوي الميت (لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد)، فللأب السدس مع الولد وكذلك الأم لها السدس معه ذكرا كان أو أنثى واحدا كان أو أكثر، ثم إن كان ذكرا كان الباقي له، وإن كانوا ذكورا فالباقي لهم بالتسوية، وإن كانوا ذكورا وإناثا فللذكر مثل حظ الأنثيين، وإن كانت بنتا فلها النصف بالتسمية ولأحد الأبوين السدسان". [2]

7-الفاصلة القرآنية:

"ونعني بها تلك الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن الكريم، ولعلها مأخوذة من قوله تعالى:﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾فصلت:3. وربما سُميت بذلك؛ لأن بها يتم بيان المعنى، ويزداد وضوحه جلاء وبيان، فمكانة الفاصلة من الآية مكانة القافية من البيت، إذ تصبح الآية متميزة في بناء هيكل السورة".[3]

ويعرفها مناع القطان في قوله: هي: "الكلام المنفصل مما بعده، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون، تقع الفاصلة عند نهاية المنقطع الخطابي، سُميت بذلك لأن الكلام

---

[1]- الرازي، التفسير الكبير ، ج9، ص204.

[2]- أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ،ج 3، دار المرتضى، (ط.ج) ص25.

[3]- أحمد أحمد بدوى ، من بلاغة القرآن ، ص64.

ينفصل عنه."[1] وقد عرفها جلال الدين السيوطي بقوله:"الفاصلة كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع".[2]

ومنه نستنتج أنّ الفاصلة في القرآن الكريم هي:آخر كلمة في الآية، فهي بمثابة القافية في الشعر، وقرينة السجع في النثر، فهي خاصة بكتاب الله عز و جل وتؤدي دورها في إتمام المعنى وإيصاله على نحو بديع معجز، حتى لو تكلف متكلف على أن يستبدل الفاصلة بغيرها ما استطاع وما وجد غيرها يؤدي المعنى والإيقاع معا، فهي إحدى صور الإعجاز في بيان القرآن، وهذا ما رأيناه في آيات الميراث فقد وردت الفاصلة في هذه الآيات على حرف الميم لأنه من الحروف التي تتوافق مع الآيات من جهة الدلالة وكذلك مع مضمونها ومع إيقاعها وسهولة نطقه خاصة عند التلاوة وهو حرف مجهور ودلالته في الآيات أن الله عليم بما يطيع، حكيم حيث يضع الأشياء بموضعها المتمثلة في عدله وحكمه في وضع قواعد وقوانين التشريع المتنوعة والمختلفة . كما في قوله تعالى:﴿ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾النساء:11، كما وردت في قوله تعالى:﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴾ [النساء:12]، كما وردت أيضا في ختام السورة لقوله تعالى:

﴿ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ

[1]– موسى مسلم سلام الحشاش ، الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنية ، ص93.

[2]– محمد بولحية ،الأسلوب البلاغي في القرآن الكريم –سورة الكهف نموذجا دراسة وصفية– مذكرة الماجستير ،2009/ 2010م، جامعة الحاج لخضر ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، باتنة، ص76.

يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ النساء: 176. فالله عليم بكل شيء ولا تخفى عليه خافية.

ثانيا: خصائص الألفاظ والمعاني والتراكيب:

بما أنه قد ورد مفهوم بلاغة الكلام في عدة كتب بمعنى مطابقة الكلام لمقتضى الحال وهي الكلام ،الذي قلت ألفاظه وكثرت معانيه وهي أيضا الإيجاز مع الإفهام، ولعل هذا ما ساعد على معرفة البلاغة في القرآن عامة وآيات المواريث خاصة وكشف البيان وفهم معانيه وإيضاح غموضه.

1- من حيث الألفاظ:

إن التدقيق والتمعن في ألفاظ آيات الميراث يلحظ بأن ورود كل لفظ في هذه الآيات قد أدى معناه وغايته على أتم وجه وأحسن حال ، ولا يمكن أن يسدّ مسدّه أي لفظ آخر، فالله عز وجل في الآية السابعة يبّين قضية الميراث لكلا الجنسين الحق في ذلك فاستعمل حرف التسوية (الواو) في قوله: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضًا ﴾ النساء:7". فالمعنى في قوله (نصيبا مفروضا)، أي: جعله الله نصيبا مقطوعا بتسليمه إليهم."[1]

وفي الآية الموالية، أشار إلى شاهدي القسمة أو حضورها وأمر بإعطاء حقهم في قوله: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ

[1]- وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، م2، ج3 و4، دار الفكر، ط10، 2009 م، ص594.

﴿ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ النساء:8.فكل لفظ من هذه الألفاظ قدم معناه على أحسن حال لكن بصفة مجملة، ما دلّ على حكم الله عزّ وجل وخوفه على عباده من عسر الفهم والوقوع في الخطأ أداه إلى تفصيل المجمل والمحكم في الآيات اللاحقة ، فقد افتتحها بفعل أمر(يوصيكم)، أي يأمركم "ويعهد إليكم ويفرض عليكم في أولادكم أي في أمر أولادكم في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة، وهذا إجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الأنثيين)".[1]

وهذا من أجل أن يدل على خطورة الأمر وليبلغ غايته وهي التحذير من أكل أموال الورثة بالباطل فأورده بصيغة الجمع ليخصّ بخطابه الجميع وهذا من محاسن كلامه عز وجل ثم ذكر نصيب كل وارث بالتفصيل حتى لا يقع الجميع في الخطأ، واستعمال ضمير المخاطب في قوله: (يوصيكم) يدل على أن الأمر موجّه للّناس كافة.

فلفظة الوصية في الآية الحادي عشر"مأخوذة من وصيت الشيء، أوصيه، إذا أوصلته فالموصى وصل ما كان في حياته بعد موته. وهي في الشرع: هبة الإنسان غيره عينا أو دينا أو منفعة على أن يملك الموصى له الهبة بعد موت الموصى".[2]

فلفظة فريضة في قوله:﴿ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ النساء11. تدل "على النصيب المقدر للوارث"[3]

[1]– محي السّنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي – معالم التنزيل– ،ص179.
[2]– عبد العظيم بدوي، الوجيز في فقه السنة والكتاب، دار بن الرجب، ط1، 2001م، ص412.
[3]– المرجع نفسه ، ص412.

وكذلك وردت لفظة الاستفتاء في قوله تعالى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾النساء:176." فالإستفتاء هو السؤال عن الحكم وهو استفعال من الفتيا ويقال: أفتي في المسألة إذا بيّن حكمها فتوى وفتيا."[1]

والمراد بلفظة الكلالة:"الحواشي:الأخ وأبناؤه، العم وأبناؤه، سواء كان عمك أوعم أبيك، أوجدك".[2] فهي تدل على من لا والد ولا ولد."[3]

ومنه فقد وردت في هذه الآيات ألفاظ تمتاز بسعة دلالاتها واتساقها الكامل معنى المعنى وكذلك جمال وقعها في السمع مما دل على إعجازية القرآن وعظمته.

2-من حيث المعاني:

إنّ الله عز وجل قد افتتح هذه الآيات ببيان أهل الميراث أو الورثة من بعد الميت ولم يخص بالذكر الرجال فقط، وانما أشار في نصه القرآني إلى كلا الجنسين من النساء والرجال ودلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ النساء:7 ، كما أشار إلى شهود وحضور القسمة بقوله: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ النساء:8. إضافة إلى معاني الآيات الأخرى التي أورد فيها حكمه أو قانون الميراث، لقوله تعالى: ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ

[1]- الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، المصدر السابق، ص209.

[2]- محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم -سورة النساء- ، م2، ص535.

[3]- وهبة الزحيلي ،التفسير المنير، م3، ج5 و6، ص403.

ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾النساء:11. فالله في هذه الآيات بين الأحكام التفصيلية لأنصبة الميراث فقد حدّد نصيب كل وارث، لقوله تعالى:﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ﴾ النساء:12.

وعليه فهذه الآيات الكريمة قد تضمّنت من التشريع ما يجمل خلاصة الفكرة الإسلامية، فألفاظها القليلة دلّت على معاني جد واسعة، كلفظة (الكلالة) في قوله تعالى:﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ النساء: 176. فهي كلمة واحدة إلا أنها اشتملت على عدة معاني، فقد ذهب "أكثر الصحابة إلى أن الكلالة من لا ولد له ولا والد له، ويرى طاووس هي من لا ولد له وبعضهم اختلفوا بأن الكلالة اسم لمن؟ منهم من قال: اسم للميت وهو قول علي ابن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما، ومنهم من قال: أنها اسم للورثة، وهو قول سعيد ابن جبير، في حين يرى النضر ابن شُميل أنها اسم للمال."[1] وكذا لفظة الاستفتاء في قوله:(يستفتونك) أي: طلب الإفتاء، والإفتاء هو الإخبار عن حكم شرعي أو غير شرعي أيضا، لأن الإنسان قد يستفتي لأمور دنيوية."[2]

[1]– محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تفسير البغوي معالم التنزيل ، م2، ص 179.

[2]– محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم – سورة النساء– م2 ، ص535.

3- من حيث التراكيب:

بعد ملاحظة يسر المعاني وسرها في هذه الآيات لاحظنا ورود ترتيبها وتركيبها، فقد ورد الحديث عن قواعد الميراث أو الإرث في الآيات الأولى في قوله تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ النساء:7. ففي هذه الآية ترتيب بديع، أي أنها اشتملت على العموم ثم الخصوص أو التخصيص، ثم التعيين كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ النساء:8. فهذه الآيات تحدثت عن الميراث بصفة مجملة، أما الآيات التي سردت بعدها فقد حددت وبّينت نصيب كل وارث، أي تناولت أنصبة الميراث بالتفصيل فهي آيات مفصلة وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾ النساء:11. فالله عز وجل في هذه الآية أبدع في الترتيب والنّظم، حيث أنه فضل أسبقية الذكر على الأنثى في قضية الميراث، ليبين خاصية الرجال على النساء، وكذلك نفس الأمر بالنسبة للوصية والدّين، فقد فضل أسبقية ذكر الوصية على الدين والسرُّ في ذلك هي أنها حق المساكين والضعفاء، وكذا تنبيه الناس وحثهم على تنفيذ الوصايا. وهذا ما دل وأكد أيضا على إعجازية القرآن وبراعة نظمه، ما دل أيضا على عجز فصحاء العرب والعجم عن الإتيان به أو بمثله، على الرغم من ألفاظها القليلة الدالة على معانيها الجزيلة والمحكمة التي جاءت في هذا التركيب والترتيب الإلهي البديع.

إن الخصائص التي امتاز بها أسلوب القرآن الكريم جعلت له طابعا معجزا في لغته وبلاغته، حيث أنه يخاطب العقل والقلب وكذلك يجمع الحق والجمال معا، لما يحتويه من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره، وفي تكامل معانيه وفي جماله اللغوي ونظامه الصوتي، الذي يسترعي الأسماع ويثير الانتباه وفي تنويع موضوعاته من تشريع وقصص.

خاتمة

لقد وقف البحث على جملة من النتائج، اكتشفنا من خلالها على قدرة الخالق العظيم في إحصاء وتنظيم ولحكام آيات وكلمات وحروف كتابه المجيد، وكذا الإيمان بالمعجزات الغيبية، والتشريعية والعلمية وغيرها من المعجزات.

كما وقفنا عند بعض جمالياته البيانية والبلاغية، لنلخص في الأخير إلى بعض النتائج التالية:

- إن إعجاز القرآن من جهة اللفظ والبيان بني على دعائم أربعة هي:

أ- فصاحة ألفاظه وجمال بلاغة عباراته.

ب- بلاغة معانيه وسمّوها .

ج- روعة نظمه وتأليفه، أي كل لفظ تراه وضع في موضعه اللائق ، وكذا رعاية قوانين اللغة وقواعدها، وهذا ما أدى إلى انسجام أجزاء الكلام.

- القرآن الكريم هو المعجزة التي اشتملت على أنواع متعددة من الإعجاز منها: البياني والعلمي والتشريعي والعددي.

- إن جماليات القرآن تكمن في مضمونها وشكلها وحتى تشريعاتها.

- من وجوه الإعجاز التي اشتمل عليها القرآن الكريم الإعجاز البياني والبلاغي، بروعته وجدته، وسمو ألفاظه.

- إنّ من عدالته عز وجل وحكمته، أنه شرع الميراث ووضع قوانينه بإحكام، وخص بالذكر في سورة النساء.

- لقد جاء نظام الميراث في القرآن الكريم في سورة النساء، يخاطب العقل والوجدان وموجه للناس كافة، فهو نظام ربّاني أنزله عالم الغيب ولا دخل للإنسان فيه.

- الإعجاز البياني يرجع في لُبه وجوهره إلى النّظم الذي يزيد مسحة جمالية بلاغية تتناسب مع المعاني الربانية المعجزة.

- تميز آيات الأحكام في سورة النساء خاصة في: أسلوبه الرفيع، ومعانيه الراقية وتراكيبه البديعة.

- النظام الصوتي في القرآن الكريم متنوع ومن صوره الفاصلة القرآنية، فقد اشتملت آيات الأحكام في سورة النساء على فاصلة الميم التي تحقق التناغم وتوضح المعنى وتقوي بنية القراءة القرآنية لإبراز الجمال النص القرآني، فالله عليم بما يطيع وحكيم حيث يضع الأشياء في مواضعها وحكيم في أمره المتعلق بقواعد وقوانين التشريع المتمثلة في الميراث.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

المصادر والمراجع:

1-ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج4، دار التونسية، (د.ط)،1984.

2-أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، ج2، دار طيبة، ط1، 2، 1997م، 1999م.

3-أبو بكر محمد بن عبد الله بن عربي، أحكام القرآن، تعليق محمد عبد القادر عطا القسم الأول، دار الكتب العلمية، (ط.ج).

4-أبو عدوس، مدخل إلى البلاغة العربية -علم المعاني- علم البيان- علم البديع دار الميسرة، ط1،2007م.

5- أبو فضل العبد الله محمد الصديق الغماري، جواهر البيان في تناسب سور القرآن مكتبة القاهرة، ط3،2006م.

6- أبو فهر محمد محمود شاكر، مداخل إعجاز القرآن، دار المدني بجدة، (د.ط) 2000م.

7- أبو موسى محمد محمد، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مكتبة وهبة القاهرة،(د.ط)،2006م.

8-أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر(د.ط) 1971م.

9-أبو حيان الأندلسي تفسير البحر المحيط، ج3، دار الكتب العلمية، ط،1993م.

10- بدوي أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، (د.ط) ،مارس 2005م.

11- بدوي عبد العظيم، الوجيز في فقه السنة والكتاب، دار بن رحب، ط1، 2001م.

12-بهجت عبد الله الواحد الشيخاني ، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز ،آل عمران- سورة النساء،م2، مكتبة دنديس، ط1، 2001م.

13- الجاحظ ، البيان والتبيين، المكتبة التجارية الكبرى، ج1، ط1،1996م.

14-جمعة محمد محمد براج، أحكام الميراث في الشريعة الإسلامية، دار الفكر ،ط1،1981م.

12-الرماني الخطابي و الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3.

13-الزمخشري، تفسير الكشاف، دار المعرفة، ط3، 2009م.

14-سامي محمد هشام حريز، نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم نظريا وتطبيقيا دار الشروق ، ط1.

15-سيد قطب، في ظلال القرآن، م1، دار الشروق، ط1،1980م.

16-الشيخ عبد الرزاق، علم البيان وتاريخه، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1،2004م.

17-الطبرسي مجمع البيان في تفسير القرآن، ج3، دار المرتضى، (ط.ج).

18-عامر عمران الخفاجي، أضواء البيان في علوم القرآن، دار صفاء ، ط1،2012م.

19-عبد الحليم سمير، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، مكتبة الأحباب، ط1،2000م.

20-عدنان محمد زرزور ،بين مفهوم المعجزة واعجاز القرآن،" نظرات نقدية"،(د.ط).

21- عمار ساسي ، الإعجاز البياني في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية في آيات المحكمات، جدار للكتاب العالمي، ط1،2007م.

22-عمار ساسي ، المدخل إلى النحو والبلاغة في الإعجاز القرآن الكريم، جدارا للكتاب العالمي،ط1،2007م.

23-فضل حسن عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، ج1، دار الفرقان، ط1،1997م.

24-كامل الخويسكي ، رؤى في البلاغة العربية ، دراسة تطبيقية لمباحث علم البيان دار الوفاء، ط1،2006م.

25-محمد بركات، دراسات في الإعجاز البياني ، دار وائل للنشر، ط1،2000م.

26-محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم-سورة النساء-م1، دار المعارف بن الجوزي، ط1،1430هـ.

27- محمد فخر الدين الرازي، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج9، دار الفكر، (د.ط).

28-محي الدين السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تفسير البغوي "معالم التنزيل"، م2، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة خيرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة ، ط1، 1989م.

29-مصطفى المراغي، علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية بيروت، ط4،2007م.

30-مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي ط9،1973م.

31-مصطفى مسلم، مباحث في علوم القرآن، دار مسلم، الرياض، ط2، 1996م.

32-المصلح عبد الله، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم تاريخه وضوابطه ط2،2006م.

33-وهبة الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، م و32، ج4،3،5،6 دار الفكر، ط10،2009م.

المعاجم:

1-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج6، دار الفكر،ط3،1988 م

2-ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، (ط.ج)، 1119م.

3-مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 2004م

الرسائل:

1-العيد حنّيق، جهود أهل السنة والجماعة في الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن الكريم- ابن القيم نموذجا- مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص:اللغة والدراسات القرآنية،2010م-2011م.

2-موسى مسلم سلام الحشاش، الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنية -دراسة تطبيقية على سورة النساء، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية بغزة 2007م.

المجلات:

1-أحمد رقب ، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية ، آيات الميراث في القرآن الكريم- دراسة بيانية-.م5، العدد(3/ب)، 2009م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الإهداء	
مقدمة.....	
الفصل الأول:الإعجاز البياني في القرآن الكريم.....	
تمهيد:.....	6
المبحث الأول:مفهوم الإعجاز القرآني.....	7
1- مفهوم الإعجاز.....	7
أ- لغة.....	7
ب- اصطلاحا.....	9
2- مفهوم المعجزة.....	11
أ- لغة.....	11
ب- اصطلاحا.....	12
3- شروط المعجزة.....	14
4- وجوه الإعجاز القرآني.....	16
1- الإعجاز البياني.....	16
2-الإعجاز الغيبي.....	17
3- الإعجاز التشريعي:.....	19
4-الإعجاز العلمي:.....	20
5-الإعجاز العددي.....	22
المبحث الثاني: مفهوم الإعجاز البياني	24
1- مفهوم البيان.....	24

أ- لغة.....	24
ب-اصطلاحا.....	26
2- الإعجاز البياني.....	28
الفصل الثاني:الأوجه الاعجازية البيانية في آيات الأحكام في(سورة النساء)	
تمهيد:.....	32
المبحث الأول: مدخل إلى سورة النساء.....	33
أولا- المعنى الإجمالي للسورة وسبب نزولها.....	33
1- سبب التسمية.....	33
2- سبب نزول السورة.....	34
3- ترتيبها.....	34
4- المعنى الإجمالي للسورة.....	36
ثانيا: آيات المواريث.....	39
1- لفظة ورث في لغة العرب.....	39
2- لفظة ورث في القرآن الكريم.....	40
3- سرد آيات المواريث.....	41
المبحث الثاني: الإعجاز البياني في آيات المواريث.....	47
أولا: مظاهر الإعجاز البياني.....	47
1- الخصائص العامة للأسلوب القرآني.....	48
2- الجملة القرآنية.....	51
3- الكلمة القرآنية.....	55
4- التكرار.....	57
5- الإيجاز.....	58

6- الكناية.....	59
7- الفاصلة القرآنية.....	60
ثانيا:خصائص الألفاظ والمعاني والتراكيب.....	62
1- من حيث الألفاظ.....	62
2-المعاني	64
3- من حيث التراكيب.....	65
خاتمة.....	69
قائمة المصادر والمراجع.....	72
فهرس الموضوعات.....	76